النصائح الزروقية

للعارف بالله الشيخ شهاب الدين
أبي العباس أحمد زروق
المتوفى 899 هـ

وتشتمل على:

* النصيحة الكافية.
* الجامع لجمل من الفوائد والمنافع / النصيحة الصغرى.
* الأصول والفصول البديعة والمعاني والمباني الرفيعة.
* مزيل اللبس عن القواعد الخمس.
* أصول الخير في الدنيا والآخرة.
* المقاصد الثلاثة.
* الجامع.
* رسائل الشيخ أحمد زروق.

تحقيق وشرح
الأستاذ الشيخ محمد إدريس طيب
حفيد الشيخ أحمد زروق



BOOKS - PUBLISHER
كتاب - ناشرون

رسائل الشيخ أحمد زروق

- **قال ابن مريم في البستان:... وله رسائل كثيرة إلى أصحابه؛ وكلها مشتملة على حكم ومواعظ وآداب، ولطائف التصوف. مع الاختصار قل أن توجد لغيره".**
- **وذكر ذلك أيضا أحمد التنباكتي في كفاية المحتاج، ونيل الابتهاج.**

وجه الشيخ أحمد زروق رسالة إلى عبد الله المغراوي، وعبد المالك بن أبي سعيدة [1]؛ - وهما من تلامذته ومريديه - بالمغرب يقول فيها:

الحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. من عبد الله سبحانه المعروف بزروق أصلح الله حاله إلى السادات الفقراء والأصحاب في الله سيدي عبد الله المغراوي كان الله له في الدنيا والآخرة، وحبه في الله الفقير عبد المالك بن سيدي سعيدة. أسعده الله بمرضاته، ونور قلبه، وكفاه شر نفسه. ثم سائر الإخوان ممن أراد الدخول في دائرة الأصحاب. سلام الله عليكم ورحمة الله وبركاته. أما بعد:

فقد بلغنا منكم كتاب يتضمن كمال الوداد، وحسن الظن، وجميل الاعتقاد، وأخبرتم فيه بأشواقكم إلينا، وانعطافكم بكنه الهمة علينا؛ فنسأل الله أن يبلغ نياتكم، وينفعنا بحسن مقصودكم؛ وإلا فنحن عصاة مذنبون نطلب عفو الله بكل حال، والتمسك بأذيال السادات من أهل الكمال؛ ويا أخي طلبتم منا إدخال فلان وفلان في الدائرة. ليس ذلك يا أولادي باختيار نفسي العاصية الجائرة، ولكن قل لهم يقول لكم:

---

(1) مخطوط المكتبة الوطنية. رقم: 2622 د. ص: 110.

عليكم باللجوء إلى الله تعالى في مقصدكم، ودعوا الحول والقوة وراء ظهوركم؛ فلا ملجأ من الله إلا إليه، ولا عاصم من أمر الله إلا من رحم وتعطف عليه؛ وأوصيكم بخمس خصال إن لزمتموها اتصلتم ووصلتم، وإن أهملتموها قطعتم وتركتم.

- أولها: لزوم الخمس صلوات في الجماعة، فإنها العصمة من كل آفة.
- والثانية: مجانبة أهل العناد وغيرهم من غير منازعة لهم فيما هم فيه إلا بشفاقة، وإصحاب يرشده برفق.
- والثالثة: إن كانت لكم حاجة إلى الخلق، أو لهم عندكم حاجة فقدموا الدعاء في قضائها قبل التوجه إليها لتكونوا بالله لا بأنفسكم.
- الرابعة: القيام بحقوق الخلق بالرحمة للصغير والحرمة للكبير والشفقة على العاصي والتواضع للمطيع والإحسان لمن أساء إليكم والدعاء له بالصلاح من غير حقد عليه ولا ذلة لأحد.
- الخامسة: الرفق بالنفس من غير تفريط ولا إفراط؛ فلا تزيدوا في الضحى على ست ركعات فأقل، وقبل الظهر أربعا وبعدها ركعتين، وقبل العصر أربعا، وبعد المغرب ركعتين، ومن الليل عشر ركعات، والشفع والوتر كل ذلك بغير قراءة مخصوصة ولا صفة معلومة، فإن ذلك بدعة.

وما ذكرت لكم هو طريقتي والسنة التي كان ﷺ يعمل بها حتى لقي الله، والزيادة لا أحبها، والنقص لا أريده، وعليكم بصوم الخميس والإثنين؛ فإن لم تقدروا فثلاثة أيام من الشهر، ومن أكثر الصيام فسد مزاجه، ومن أهمله رأسا قسى قلبه؛ وبالجملة فخير الأمور الوسط، وهو ما ذكرت لكم، وعمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة، والفقير مثل النحلة ترعى من كل نوار، ولا تبيت إلا في جحرها، فهو شيخه؛ وإلا فلا ينفع بعسله **ولا ندري هل سيدي عبد الله المغراوي، وعبد المالك بن سعيدة هما اللذان توليا أمر مدرسته - زاويته - بالبور/ لجاية. بعدما سافر الشيخ أحمد زروق للحج سنة 884 هجرية. أم أنهما كانا بمكان آخر؟ المهم أنه يستفاد من الرسالة أن الشيخ زروق كانت له مدرسة/ زاوية بالمغرب في**

حياته، وكان له أتباع، وأن التواصل بين الشيخ وتلامذته أو أتباعه كان متوفرا بالطرق المتاحة آنذاك.

وإني أنهاكم عن خمس خصال:

- أولها: كثرة التخليط في العبادات وغيرها.
- والثاني: سوء الظن بعباد الله.
- والثالث: الاغترار بظواهر الخلق.
- الرابع: الانتصار للنفس.
- الخامس: تتبع الفضائل، ودخول ما لا يعني كالتوجه للجهاد بغير إذن جماعة المسلمين وسلطانهم فإنه سلم الفتنة، وقل ما اشتغل به أحد فنجح، والدخول بينه وبين مخالفيه بوجه لا يرتضيه، وحسن الظن بالناس في غير الحذر منهم، فلا تأمر لأحد بأهلك ومالك إلا من جربته ألف أنه يخاف الله ويتقيه، واعمل سرا كأنك خازن لتأكل منه بالمعروف وتطعم عباد الله من غير سرف ولا قتار، ومن خلط في طريقه لم يشفع بنفسه، ومن كثر عدد الأذكار والعبادات غير ما وتر وصح في السنة بعد عليه الفتح لأنه كمن يريد أن يحفر بئرا يريد ماءها ويحفر هنا شبرا وهنا شبرا، وإياكم والوسوسة فإنها بدعة وضلال واسألوا الله منها العافية، وإياكم ثم إياكم ومخالطة الفقراء والطلبة من أهل الاشتغال بالكنوز والكمياء وغيرها؛ فإن ذلك كله مبعد عن الله تعالى جالب للفقر بعيد عن الحق، وعليكم بالألفة وإكرام الأصحاب وهم ثلاثة:

- فصاحب لدنياك لا تراع فيه إلا حسن خلقه.
- وصاحب لآخرتك لا تراع فيه إلا حق الله تعالى، واقبله كيف كان.
- وصاحب لأنس فلا تراع فيه إلا السلامة من شره.

وإياكم وخلطة فقراء هذا العصر فإنهم جذام إلا من قل، وسلم كلهم في هواهم وفيما هم فيه، وعظم الفقراء لأنهم حملة الشريعة، ولا تخالطهم لأن نفوسهم غالبة عليهم، واكرم أهل الدنيا بلا تشفع بهم، ولا ترفعهم على الفقراء فتسقط من عين الله وتزدرى عندهم، والجأ في أمرك كله لله تجد الإجابة طوع يدك، وقل في جوف

الليل بصوت ممدود: يا غني من للفقير سواك. يا عزيز من للذليل سواك. يا قدير من للعاجز سواك. يا قوي من للضعيف سواك، وكرر ذلك مرارا ترى العجب من أمرك ولازم في كل يوم أن تقول: يا عزيز يا متكبر يا ودود يا بصير مائة وخمسا وعشرين مرة، وصل الله على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله بعد مثلها ترى العجب من نفوذ الكلمة وظهور الأمر.

وفي رسالة لـ (محمد) الحطاب الطرابلسي يقول[1]:

الحمد لله وحده من عبد الله الفقير إلى رحمة مولاه أحمد زروق أصلح الله حاله إلى أخيه وحبيبه ووليه في الله تعالى الفقير محمد الحطاب الطرابلسي. تولى الله أموره، وجبر مكسوره، ونور بصيرته، وأصلح سريرته، وجعل كل استعداداته لمعاده، وجعل رضى مولاه غاية مراده. أما بعد:

فلا متجدد إلا الخير والعافية في هذه الدار إن شاء الله؛ والله لا تنسونا من صالح الدعاء، ولكم علينا مثل الذي لنا عليكم، وعليكم بتقوى الله حسب الإمكان، فاتق الله ما استطعت، ودع الخلق وما دفعوا إليه؛ فمراد الحق منهم ما هم عليه، وعليك بلزوم الصبر والقيام بالحق الذي أمرنا الله بالتواصي بهما، وهما أعز من العزيز وأقل من القليل؛ وعليك بحسن الخلق وإيثار القليل من الدنيا على الكثير، وإياك وحب الرياسة فإنها أساس كل شر، وعليك بإيثار السلامة أبدا، ودع عنك الفضول؛ فالشر كله فيه، والخير كله في اتباع السنة، وشهود المنية؛ فإلى متى هذا؟ أليس لو أرحت نفسك بإسلامها إلى الله كنت في عافية؛ فما هناك إلا فضله، ولا تعيش إلا في شره. لو كشف الغطا لكشف عن أمر عظيم، وعن قريب كأنك بالدنيا لم تكن وبالآخرة لم تزل، والمؤمن لا يغفل عن مولاه بذكره وذكر ما مر به عليه، ﴿فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٦٩﴾، وأعظم باب للفقير رفع همته عن المخلوقين؛ بل كمال العز في ثلاث:

- رفع الهمة عن الخلق.

(1) نفس المرجع السابق ص: 112/ 113.

- والرضى عن الله في كل شيء.
- والزهد في الدنيا.

وأوصيكم ثم أوصيكم ثم أوصيكم بالتأني في الأمور؛ فإن التوقف قبل الفعل لا يوجب ندما، وإن أوجبه فلا يلحق ضررا. بخلاف العجلة فإنها بالعكس، واعلم أن الدنيا غولة من غفل عنها أكلته، ومن تركها أهملته. إلا أن تكون أنيابها مكسورة، وأنيابها حب المال والبنين وإيثار الدنيا على الدين، وإذا وفقك الله عرفك كيف تصنع، والموت أقرب إلى العبد من شرك نعله، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور.

تولاكم الله بإحسانه وعاملكم بما يليق بفضله وكماله وقد علمتم ما انطوت عليه ضمائرنا من صافي الوداد، وجميل الاعتقاد، والاعتناء التام. جعل الله ذلك خالصا لوجهه مقربا إليه بفضله، (وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب)، والسلام.

كان الشيخ علي بن محمد الحطاب الطرابلسي الأصل من أصفياء الشيخ أحمد زروق. لقيه أول مرة بالديار المقدسة؛ فأخذ عنه الطريقة الزروقية.

وفي الرسالة إشارات لا تخفى على من له بصيرة؛ ويعتبر الحطاب من رواد المدرسة الزروقية؛ ولقد بقي أبناء الحطاب وحفدته أوفياء للمدرسة الزروقية؛ فعنهم أخذ الكثير من الناس الطريقة الزروقية.

وفي رسالة وجهها الشيخ أحمد زروق إلى تلامذته ومريديه ينصحهم بما يلي[1]:

"... ولا تشاقوا الأمة، ولا تطرحوا أقوال الأئمة". بل خذوا من كل علم أسنه تكونوا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، والتزموا المحجة، واطلبوا لكل عمل حجة؛ لتكونوا على بصيرة في الدين، وتنخرطوا في سلك المقتدين لا المقلدين. قال الله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾، وقال

(1) مخطوط المكتبة الوطنية الرباط. رقم: 2795 د. ص: 87 - 88 - 89.

تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَنهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾، وقال جل وعلا: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾.

إياكم وعلم الكلام؛ فإنه مضر باليقين؛ فقد قيل: "الناظر في علم التوحيد كالناظر في الشمس. كلما ازداد نظرا ازداد عمى"، واتفق مالك والشافعي وأحمد بن حنبل وأبو يوسف على تحريم علم الكلام؛ وقال بعض العلماء: "الضلال بعد الهدى علم المنطق"، وقال عليه الصلاة والسلام: "ما ضل قوم بعد هدى إلا حرموا العمل وألهموا الجدل"؛ وليكن جدكم في طلب الفقه وأصوله، وفي بعض النحو وفصوله، وامتهنوا فقه الحديث والعمل به، ولا ترجحوا الفهم على أحدهما؛ فتقعوا في الحيرة؛ وقد قال أشياخنا: "من كان علمه مأخوذا من الكتاب والسنة كان فتحه منهما، ومن استند إلى عالم في عمله منحه من قوته"؛ فليختر العاقل لنفسه أنه لا يسوغ التقليد المحض. مع إمكان إدراك الوجه والدليل؛ وقد قال الحسن ﷺ: "اطلبوا هذا العلم طلبا لا يضر بالعبادة واطلبوا هذه العبادة طلبا لا يضر بالعلم"، وسئل مالك ﷺ عن طلب العلم؛ فقال: "حسن؛ ولكن اطلب ما يلزمك من صباحك إلى مسائك فالزمه"؛ فمن لازم أوراده ورتب أوراده قرب الفتح عليه وانتهى الخير إليه، وأساس الأوراد كلها أن يكون عملك كله لله سواء كان عبادات أو عادات فإن النية إكسير الأعمال، ومن لم ينقل قدميه إلا حيث يرجو ثواب الله قل أن يقع في محظور، وأعدل أوراد الصلوات في الضحى ست كما ورد في حديث أنس وعلي وهما في الترمذي، وأشارت إليه أم المؤمنين عائشة ﵂ في مسلم، وقبل الظهر أربعا كما في السنة، وعن ابن عمر ﵄: "رحم الله امرأ صلى قبل العصر أربعا وبعد المغرب ركعتين"، كما صح، ومن الليل ثلاث عشرة أولها ركعتين خفيفتين وبعدها الوتر بواحدة، والفجر ركعتان بالكافرون والإخلاص، وكذا الذي بعد الظهر والمغرب، وصلاة الاستخارة، ولا تخصص صلاة بقراءة ولا هيئة غير مشتهرة إلا صلاة التسبيح؛ فإن كل الصلوات المأثورة في الأيام والصفات موضوعة والعمل بالموضوع ممنوع؛ وعليكم بتلاوة القرآن وأقله ختمة في الشهر، والمتوسط ثلاث وأكثره في كل يوم. إلا صاحب الحال؛ فيسلم له، ولا تكثر الصيام؛ فإنه مفسد

للمزاج موجب للدعوى، ولا تهملوه رأسا؛ فإن ذلك يقسي القلب إلا من علة؛ وأقله ثلاثة أيام من كل شهر، وأوسطه الخميس والاثنين، وبختمة منه مع رمضان ثلث الدهر، وأكثره يوم بيوم، ولا تخلوا يومكم من صدقة؛ وإن قلت، ولو كانت لقمة لكلب، أو قط تبتغون بها وجه الله تعالى، واحذر الناس في غير حسن الظن بهم؛ فقد قال عليه الصلاة والسلام: "المؤمن كيس حذر فطن ثلثاه تغافل"، والزموا أذكاركم، ولا تكثروا من أنواعها؛ فتشتت ذهنكم، وتقل الإفادة عندكم، ولتكن العمدة عندكم ما صح من حديثه عليه السلام، أو حسن، وكل ما قدمت من الأمور ليس فيها إلا ذلك؛ فلزموا فيها وظائفكم، ففيها السنة واتباع المشايخ المتلقاة منهم. لا تماروا أحدا خالفكم أو وافقكم، وانظروا إلى المحسن والمسيء بعين الرحمة بحيث تدعون لهم؛ وإياكم وكثرة الاعتراض، وقلة الإنصاف واحتقار الإخوان، وإضافة فائدتهم إليكم؛ فإنه المهلك، وتبركوا بكل من ترون صلاحه من غير إتباع إلا لشيخكم، واكتبوا ما ترون من مرائي وغيرها ترون بركة ذلك، واتقوا أعراض المسلمين تفلحوا، واتركوا ما لا حاجة لكم به تربحوا، واعلموا أني لا أنساكم إن شاء الله، فلا تنسوني من كتبكم ودعائكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وصلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم. انتهى.

وصية الشيخ أحمد زروق لبعض أصحابه[1]:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه؛ وبعد:

عليكم بتقوى الله الذي لا بد من لقائه، واحذر مخالفة أمره في شدته ورخائه، وأحدث لكل ذنب توبة، ولكل التفاتة رجعة؛ فإن المرء غير معصوم من الزلل، وغير واثق بنفسه في دوام العمل، ومن عز عليه دينه هانت عليه الأمور كلها، ومن ترك نفسه دارت عليه الدوائر؛ فلا في الدنيا يفلح، ولا في الآخرة ينجح، ومن كان همه ما يكفيه؛ فأقل شيء منها يكفيه، ومن طلب من الدنيا ما يغنيه؛ فكل شيء منها لا

---

(1) مخطوطات جامعة الملك سعود.

يغنيه، ومن كان شرفه بعلمه نال جميع أمله، ومن كان شرفه بنسبه كانت نجاته أبعد من عطبه؛ والناس أبناء أخلاقهم[1]، ومن أحب قوما كان مثلهم، واحذر حب الظلمة وموالاتهم، وجانب أبناء الدنيا ومخالطتهم؛ وإذا خالطتهم؛ فاحذر منهم. إنما يريدونك على تكميل دنياهم، ولما يوافق هواهم؛ فيوقعونك في المحرمات الصريحة[2]، ولا تطاوع من لا يبالي بعرضه في تحصيل غرضه[3]، وإياك والتجسس على الأمور، والتطلع على الأخبار؛ فإن من أراد أن لا يفوته خير لم يفته ضرر، واحذر أن تعامل رعيتك[4]، ومن في معناهم معاملة السيد في عبيده؛ فإن الله يغار على المسكين؛ ولو كان عاصيا.

واغتنم دعاء رسول الله ﷺ؛ وهو قوله: "اللهم من ولي من أمر أمتي شيئا؛ فرفق بهم؛ فارفق اللهم به، ومن شق عليهم؛ فشق اللهم عليه"، وهذا يتناول من له أدنى ولاية في الغالب، وعليك بالذكر؛ ولو تسبيحة، وبالقرآن؛ ولو آية، وبالصوم؛ ولو يوما في الشهر، وبالصلاة؛ ولو ركعة في جوف الليل، وبالصدقة؛ ولو لقمة لكلب، أو هر. تبتغي بها وجه الله تعالى.

وهذا كتاب نصيحة لا كتاب تبرك؛ فلا تقرأه من فوق فوق، وتجعله في الصندوق؛ ولكن ذكر به نفسك المرة بعد المرة، وإن قدر الله بغيرها؛ فسيكون؛ وهذا ما بلغنا والحمد لله رب العالمين.

---

(1) لم يهتم الشيخ أحمد زروق بنسبه الطيني، ولم يفاخر بشرفه قط. حيث رأى أن الشرف كل الشرف، والرفعة كل الرفعة في العمل الصالح.

(2) لقد جانب الشيخ أحمد زروق الظلمة من الحكام خاصة، وأبناء الدنيا عامة؛ لأنه رأى في انضمامه لبلاطهم خدمة لمصالحهم؛ فأعلن تجرده لله، وأفسد عليهم خططهم في ضمه لخدمتهم؛ بتقليده منصبا ساميا في بلاطهم.

لقد استحمق الششتري فأبعدوه، وتجرد الشيخ أحمد زروق فأبعدوه وما تركوه.

(3) وهذا شأن الكثير من أهل الدنيا؛ والعياذ بالله.

(4) من هذه الكلمة يتضح أن الشيخ أحمد زروق وجه نصيحته هذه لمن له شأن ديني أو منصب دنيوي. يؤكد ذلك استدلاله بالحديث اللاحق.

وقال ﷺ[1]:

العامة لا يرون البوح الصالح إلا بخمسة: أحدها يبذل القدرة، ويكشف الغيب، ويخرق الشريعة، ويفارق الفضل، ويخالف الحكمة.

وإنما يستريح معهم من سلم لهم فيما يدعونه من خمسة أشياء: الديانة، والعلم، والمروءة، والنسب، والعقل؛ فسلم لكل أحد ديانته إلا من يرضى بديانتك، وعلمه إلا من يرجع لعلمك، ومروءته إلا من يرضى بمروءتك، ونصحه إلا من يرضى بنصيحتك، وعقله إلا من يرضى بعقلك.

وخمس للعاقل لا بد منها: الإخلاص في معاملة الحق، والسياسة في معاملة الخلق، والرياضة في معالجة النفس، والصبر في معاملة الدنيا، وصرف الهموم بالقناعة، والرضى.

انتهى وبالله التوفيق، والعاقبة للمتقين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ومما أوصى به ﷺ بعض إخوانه[2]:

اعلم وفقنا الله وإياك أن موارد الأمر على أربعة أركان:

1: التقوى بالحذر والإشفاق.

2: واتباع السنة بالآداب والأخلاق.

3: وطلب العلم بالبحث والتحقيق.

---

(1) نصائح الشيخ زروق. مخطوط الخزانة الملكية الرباط رقم: 12217.

(2) انظر مخطوط مكتبة المسجد النبوي الشريف. المشار إليه سابقا. ص: 112.

انظر مخطوط الخزانة الحسنية رقم: 12217. تحت عنوان: نصائح الشيخ زروق.

وطلب العلم يحتاج إلى أربعة:

1 - 3: تقديم الأهم فالأهم.

2 - 3: وأخذه عن التقي؛ أو التقي الأعلم.

3 - 3: وبذل المجهود في طلب التحصيل.

4 - 3: والحرص على العمل بما أمكن من غير تقصير؛ فإن العلم يهتدي بالعمل؛ فإن وجده نزل وإلا ارتحل..

4: والفرار من الفتن في الشدة والضيق.

فأهم خصال التقوى أربعة:

1 - 1: حفظ اللسان عن الغيبة.

2 - 1: وحفظ القلب عن الريبة.

3 - 1: وحفظ البطن عن الحرام.

4 - 1: والإمساك عن فضول الكلام.

وتحقيق الاتباع بأربعة:

1 - 2: مجانبة الرخص والتأويلات.

2 - 2: والأعمال المستغربات.

3 - 2: وكون الأولى أهم من الاقتصار.

4 - 2: والإنصاف من نفسك بعدم الانتصار.

والفرار من الفتن يكون بأربعة أمور:

1 - 4: ترك المطامع والالتفات.

2 - 4: ومجانبة الظلمة في جميع الحالات.

3 - 4: والقناعة بالمقسوم من كل شيء دون تلفت.

4 - 4: والاقتصار على مصلحة نفسك دون تفلت؛ فإن من أعان على مصلحة غيره دون مصلحة نفسه فقد أعان على وجود نكسه ووكسه، ومن طلب من الدنيا فوق ما يكفيه أعمى الله عيني قلبه، ومن أحب ظالما سلطه عليه في دينه ودنياه، ومن تعلق بالخلق أحوجه الله إليهم ونزع الرحمة عليه من قلوبهم، ومن تعرض للفتن جاءته من حيث لا يعلم.

وعلم بلا عمل وسيلة بلا غاية، وعمل بلا علم جناية، ومن أعطى العلم كله أعطاه جزءه، ومن أعطاه بعضه لم يعطه بعضه ولا كله؛ وان هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذوا دينكم، والواثق بكل أحد متلاعب بدينه؛ وكيف يكون عالما بالدين من كان غاشا لنفسه؛ فإن العالم طيب الدين، ودواء الدنيا داء الدين؛ فإذا كان الطبيب يجر الداء إلى نفسه فكيف يبرئ غيره ولا يكون ممن يداوي العليل؛ ومن العجائب

أعمش كحال؛ والأهم على ذوي الدين ما لا يتم الأمر إلا به من معرفة التوحيد دون تعمق، ومعرفة الفقه دون تقصير، ومعرفة الأحوال بقدر الحاجة في لوازم العبودية؛ فقد جاء في الحديث: "إن الله لا يسأل الخلق عن ذاته وصفاته، ولا عن قضائه وقدره؛ وإنما يسألهم عن أمره ونهيه؛ فاطلب ربك من حيث يطلبك"، وقال عليه السلام لمعاذ ﷺ: "اتق الله حيث كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن... الحديث".

وما أنصف عبد من نفسه إلا رزق بصيرة تدرك الحق والباطل على وجهه، ولا فارق الإنصاف من نفسه إلا ابتلاه الله بالذل ودوام العمر، وما اقتصر أحد دون الأولى إلا وقع في النقص ديانة ومروءة وغير ذلك.

ومن اتبع الأمور الغريبة لم يعدم الوقوع في ريبة؛ وإن أكثر البدع والضلال في الأمور التي لا تحمد، وما سواها سالم من ذلك أو قريب من السلامة.

وكل رخصة دخلها خلاف العلماء من غير أصل فهو ظلمة المضطر، وكل رخصة كان مدركها قويا كالقصر في السفر فهو نور، وكل شهوة دعت إليها النفس دون شعور بأمر الله فهي بلية، وكل شهوة دعت إليها من بساط الحق فهي نعمة؛ وما جاء من ذلك ومن غيره دون إشراف ولا تشرف ولا حصر جهة فهي منة، وما كان على عكس ذلك فهي نقمة؛ فاجعل حوائجك عند الله ورزقك من خزائنه بأن لا تلتفت لما بيدك فضلا عما بيد غيرك يدوم لك الحضور مع الحق بالافتقار من غير أن لا تبالي من أين رزقت إذا وافقت العلم في حكمه بنفي الحرام بالشبهة والبينة وأيادي الضلال، وكن حازما يقظانا بحركاتك وزنها بالعلم في كل نفس تدرك مرادك. ثم إذا أردت الثبات فليكن لك في كل شيء عادة من غير نقص ولا زيادة واعمل في ذلك بما جاء عن سيد البشر ﷺ فإن العبد لا يقدر على مقاومة الرياء فيكون القليل من عملك أوفر من كثير غيرك؛ وإن أردت الفتح ففارق التسبب بقهر نفسك عنه ثم لا يزال لسانك رطبا بذكر الله؛ وإياك ودخول ما لا يعني فإنه أهلك أهل الدنيا في دنياهم وأهل الآخرة في أخراهم؛ وعليك باللجإ إلى الله فهو ملاذ الأمر وكن عبد الله لا عبد نفسك.

وهذا ما يسر الله في هذه الورقة؛ وهو خير من أسفار عديدة. ثم ارغب إلى الله في نفعنا ونفعك به وأن يمدنا وإياك بالرضى منه والرجاء فيه وأن لا يجعلنا من الغافلين، ويصحبنا العافية والسلامة في الدين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم. انتهى.

ومما أوصى به الشيخ زروق بعض إخوانه قوله[1]:

"أوصيك بتقوى الله فهي رأس الوصية، وملازمة أورادك وترك ما لا يعني من كل شيء، ورفع الهمة عن المخلوقين، ودوام الحيا من رب العالمين، وملازمة العلم النافع في الدين كالفقه والأصول والتصوف والحديث والتفسير؛ وعليك بالتواضع إلا لذي نخوة وكبر فأظهر له الرفع من غير افتخار؛ واطلب الدنيا طلب من هو في غنى عنها، ولا تحرص ولا تغشم معيشتك غشما تترخص به في دينك لأجلها، وحصنها تحصين من يراها إنها أمانة تحت يده؛ فلا يبذلها إلا لأهلها، وأخرجها من قلبك إخراج من يراها أنها لم تخلق إلا لذلك؛ ولا تقصر في موجب ديانة ولا عقل؛ وفرغ قلبك لربك حتى لا يدخل فيه سواه، ودينك لآخرتك، ودرهمك لدنياك، ومروءتك لوجهك؛ ولا تركن لأحد من المخلوقين بأمر دينك ودنياك حتى تعلم ما هو عليه بالتجربة الطويلة والبصيرة النافذة بأنه ممن يخشى الله، واحرص على تقى العلم ما أمكنك؛ وليكن حرصك على ما تسمعه ولا تخبط خبط عشوي في تيه البرية؛ بل لا تنتقل إلا بعد تحقيق؛ وقوله لا أدري جنة العالم فإن أخطأها نفذت مقالته؛ والانتصاف في الحق يورث الشرف، وترك المنازعة وقاية من الشرور، وصلاة الجماعة جنة من كل آفة؛ والدنيا دار الله فلا تنظر فيما يرد عليك منها إلا بالله؛ وبحسب ذلك لا تعاتب مقصرا ولا تقصر في مدح قائم بحقك، وإياك والرياء والعجب وهم الرزق وخوف الخلق فتبرأ من ذلك بغاية جهدك متبريا من مظانه، وقم لله على نفسك قومة أشد على ما بيده؛ وإلا فلا تنجو منها، وذكر الموت أساس كل خير. والسلام.

---

(1) مخطوط مكتبة المسجد النبوي الشريف.

مخطوط الخرانة الحسنية الرباط رقم: 12217. تحت عنوان نصائح الشيخ زروق.

ومن كلام الشيخ زروق أيضا في نفس الموضوع:

مبنى طريقتنا على حسن التحقق في التقوى بحفظ ما لا يعنيه ولا يطلع عليه أحد إلا الله، والتحقق في اتباع السنة بحيث لا تأخذ إلا بما صح أو قارب أو كاد، ورفع الهمة عن الخلائق بحيث لا تتوجه لهم في أمر من الأمور إلا مجازا، فلا تذم مانعا من حيث هو، ولا تمدح محسنا من حيث هو، بل من حيث أمر الله فيه، والتسليم للخلق فيما هم فيه باتقاء شرورهم، وإيثار السلامة والعافية معهم، والاستسلام للقدر في جميع الأحوال بالصبر والرضى والشكر والعمل على قول أبي الحسن الشاذلي ﷺ: "اجعل التقوى وطنك ثم لا يضرك مرح النفس ما لم ترض بالعيب أو تصر على الذنب أو تسقط منك الخشية بالغيب"، ورجوعا لقول رسول الله ﷺ: "اتق الله حيث كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن"، وإيثارا لقوله عليه الصلاة والسلام: "إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخويصة نفسك"، ونرى طاعة أولي الأمر وعدم الاعتراض عليهم بالظاهر كيف ما كانوا والله حسبهم، ونصلي الخمس، ونفطر، ونقصر، ولا نقول بصلاة الأسبوع والليالي والأيام الفاضلة، ونعمل بصلاة التسبيح، ونوثر ما فتح الله من تجريد أو أسباب من غير اختيار لأحدهما عند وجود الآخر، ونأخذ بكل مباح ما لم يلحقه نقص أو ضرر في الدين، فنذكر بالجمع ونجتمع للذكر لا على وجه أنه أفضل ولكن لما فيه من راحة النفس وصورة الطريق، ونرى الزيارة للأحياء والأموات ما لم نضيع واجبا أو مندوبا متأكدا، ونرى لكل مِؤمن تزكية إلا من خالف السنة، ولا نقتدي إلا بمن صح علمه وورعه، وأصل كل خير الرضى عن الله بما قسم، واللجأ إلى الله في كل شيء مفتاح كل حاجة عند الفقير وهروبه من شر الخلق أعظم كل حصن.

رغم أن الرسالة مختصرة فهي تركز على أهم أسس المجاهدة الروحية

ومن كلام الشيخ زروق في الموضوع[1]:

" قال الشيخ أحمد زروق الأصول في هذا الشأن ثلاثة:

- خشية الله في السر والعلانية.
- والعدل في الغضب والرضى.
- والقصد في الغنى والفقر.

والفروع ثلاثة:

- حفظ الحرمة، * ولزوم الخدمة، * وتصفية اللقمة.

وحققها بثلاثة:

- الطلب لله في جميع الأوقات، * واتهام النفس في جميع الحالات، * واتباع العلم في الحركات والسكنات.

(1) (انظر مخطوط المكتبة الوطنية بالرباط. رقم: 3612 د. فلم: 4286. من صفحة: 430 إلى صفحة: 436).

وأوصيكم توصية مباركة؛ وهي أن تسلموا لكل واحد ما هو فيه من أعمال وأحوال وعلوم، ولا تتنازعوا بل تتركوهم وما دفعوا إليه، فمراد الحق ما هم فيه، ولا تفتوا بغير ما صح من الكتاب والسنة، وحسن الدعاء وغيره، ولكم أن تأخذوا ما تصح معناه من الأدعية الواقعة للأولياء؛ كالشاذلي، ونحوه، وابن سبعين وشبهه؛ وجانبوا طريقة البوني كل المجانبة، وكذا كتب الحاتمي؛ فإنها متلفة إلا مع غيرها، ودعوا الإكثار من النوافل إلا في الندرة؛ فإن ذلك مما يخل بكم؛ وإياكم وتتبع الفضائل؛ فإنه مرهق؛ وعليكم بالجماعة، والألفة، ولاحظوا في ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا ...﴾ الآية.

ونستودعكم الله ظاهرا وباطنا، والسلام.

وتممها بثلاثة:

- حسن الخلق بمعاملة الخلق، * والرفق في التناول، * والتأني في التوجه.

وثلاث كرامات:

- صدق لا تصحبه دعوى، * ومعرفة تصحبها سكينة، * وعلم يصحبه عمل.

وما ارتفع من ارتفع إلا بثلاث:

* لزوم الخدمة، * ولزوم حفظ الحرمة، * ورفع الهمة.

ومن كلام الشيخ أحمد زروق ﷺ:

أما بعد فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، وأوصيكم بوصية رسول الله ﷺ لمن استوصاه؛ إذ قال عليه السلام: "اتق الله حيث كنت، واتبع السيئة حسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن"، وقال أيضا لمن استوصاه: "قل ربي الله استقم".

فعليكم بشهود المنة، واتباع السنة؛ وإياكم ومتابعة السبل؛ فإنها مهلكة، واطلبوا من علم السلف الأول ما أمكنكم في غير التسليم لكل علم الإسلام؛ فقد قال عليه السلام: "في كل واد من قلب ابن آدم شعبة؛ فمن تبع قلبه تلك الشعاب لن يبال الله في أي واد أهلكه"، وقال ﷺ: "... وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، والضلالة صاحبها في النار".

وقال جلت قدرته: (وإن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله)، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدًى ...﴾.

واطلبوا العلم بالدليل تسعدوا؛ وإياكم وأتباع الرأي والتأويل؛ فتبتعدوا عن الحق، واعلموا أن الله لا يسأل الخلق عن قضائه وقدرته، ولا عن ذاته وصفاته، وأفعاله؛ وإنما يسألكم عن أمره ونهيه؛ فالزموا أورادكم، وراعوا أوقاتكم، وجاملوا اخوانكم، واخدموا المسلمين ما أمكنكم؛ وإياكم وترهات البطالين الذين يبعدونكم

من الله بذكر قصوركم وتقصيركم، ويعوصون عليكم طريقكم؛ فما هي إلا الفرائض المشهورة تؤدى، والمحرمات المعومات تترك، والسنن المأثورة تتعاهد، واشكروا ما قل وجل من النعمة، واللجإ إلى الله في كل ملمة ومهمة، والفتح من الله؛ فإنما على العبد الأسباب، وعلى الله فتح الباب؛ وأي فتح أعظم مما أنتم فيه من الانتساب لجناب الله، والمحبة لأولياء الله، والحمد لله على ذلك؛ وهو المرجى في تكميل ما هنالك.

ومن كلامه ﷺ وأرضاه؛ وهي وصية عامة:

الحمد لله. أما بعد؛ فالحق واضح، والدليل لائح، والداعي قد أسمع؛ فلا حجة للقاصر، ولا عذر لمن تقاصر، ولا كمال إلا بعلم وحال؛ فكل علم لا تصحبه خشية، أو تكون سابقة له؛ أو لاحقة عليه؛ فضياع، وكل عمل لا يصحبه إخلاص، أو تكون مقدمة له، أو نتيجة عنه؛ فانشغال وقت فقط؛ فلا إفادة، وكل حال لا يثمر أي علم، أو يدعو إليه، أو يوافقه فوبال وفتنة، ومحبة الاغترار، والفتوى بلا علم إلا قابله الكبر والإعجاب؛ كما أن تنحيته إلا قابلها الخبط والتخليط.

وآفة مفتاح الخبط التسامح في النظر. مع اختلاف النظر في المقاصد، ومفتاح الغلط تتبع التأويل في اعتقاد الرخص والتأويل، ومفتاح الضلال العمل بالبدع، والتوسع فيما ليس فيه اتباع؛ فالنجاة من الأول بتصحيح القصد في المقاصد حيث لا يكون في النية دخل، ولا في المنوي خيار بوجه ولا بحال.

والنجاة من الثاني باعتقاد الأول بعد الأوجب، ورفع الهمة من الاقتصار على محل المروءة إلى ما هو الأعلى والأصوب بل الأحوط والأحب.

والنجاة من الثالث بتجنب الزوائد والمستغربات والاقتصار على محل السلامة في جميع التقلبات؛ إذ لا تجد غالبا إلا في مستغرب عادي أو غيره شبيه بأمر بدعي؛ ولكل وجهة ذوق للحال، وحلاوة للعمل، وجادة للعلم، وثمرة متناسبة؛ فالتأثير بالذوق، وحداده بالعلم لا يدلان على ثمرة الحقيقة نفسها إلا لمن له بصيرة نافذة صحيحة تميز نور العقل من نار الهوى، وتفهم داعية الطبع من داعية القوى بنكتة إلهية يوافقها الكتاب والسنة، وقضايا العقول السليمة؛ فعليكم بالجادة

من الكتاب والسنة، وأقوال الأئمة، وخذوا بالأحوط من ذلك أبدا؛ ففيه الهداية والرشد؛ وإياكم ونفات السبل؛ فإنها القاحمة: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾.

واعلموا أن الطريق مبني على اتباع الإحسان لقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾؛ فطريق القوم في العقائد على طريق السلف، والمحققين من الأمة، وفي الأحكام على مذهب الفقهاء وأئمة الأمصار، وفي الفضائل على مذهب المحدثين وأهل التحقيق من العلماء. ثم لهم في أحكام الفوائد والأحوال والمقامات أحوال وأعمال مبنية على أقوالهم التي يغمض مدركها على من لم يدخل مداخلهم؛ ولذلك أنكرها عليهم البعيد عنها؛ وربما لسالك أن يرفض؛ فاختاروا من مذهبهم بالأبين، ومن الأبين بالإحسان؛ وهو ما لا يكن الشد في حكمه؛ كطريق الشاذلي علما وعملا، وطريق الغزالي في الأعمال والمعاملات خاصة؛ فإن في علومه غوامض تحت عبارات لا يؤديها على تمام المقصد؛ ولكن لكم في بعض كلامه، وكلام غيره من القوم شروط ثلاثة:

أولها: التحفظ في الأخذ بأن؛ فلا تأخذوا ظاهرا ولا باطنا إلا بما تفهموا ظاهره وباطنه.

الثاني: التزام حسن الظن بالقائل والناقل بأن تحملهما الحمل الجميل في عدم الوفاء بالتعيين من الأول، وقصور الفهم من الثاني، وقصد الاحتياط من الثالث؛ أو يكون لكم أصل ترجعون إليه من علوم القوم وطرقهم؛ فلا تأخذوا إلا ما وافق (خلدي)، وألا تتشتت عليكم الأحوال، ولم تحصلوا بطائل من مرادكم، ومبنى الطريق على التسليم والتصديق؛ كما أن مبنى العلم على البحث والتحقيق؛ فإن تكلم العالم من حيث العلم؛ خذوا من قوله ودعوا، واقبلوا منه وردوا؛ وإذا تكلم من حيث الحال؛ فسلموا له تسليما، واجعلوا التسليم وحسن الظن أصلا، والإعراض والتهمة فرعا؛ والحمد لله رب العالمين.

ومن كلامه ﷺ وأرضاه وصية نافعة:

الحمد لله وصية مباركة إن شاء الله:

أوصيك بتقوى الله في السر والعلانية، والرجوع إلى الله في كل قاصية ودانية، والزم نفسك غاية جهدك السلامة، وفر من الناس؛ فإن مخالطتهم ندامة، وجانبهم مجانبة من يعلم أنه لا بد له من معاشرهم، وخالطهم مخالطة من لا يحول عن إخوانهم؛ وذلك بأن يسقط عنهم الحقوق والكلف، وتتركهم وما دفعوا إليه من أسباب التلف، واستعن على الحزن بالله ثم بذكر الموت والوقوف ما بين يدي الله يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، واقبل عليه بعمل صالح ولسان مستقيم، وكن عبد الله في كل حال يكن لك ما تحب على كل حال؛ واعلم أن الكمال لله دائر على العلم والعمل والحال فبالثلاثة فاز من فاز، وضل من باء بالضلال؛ فلا تأخذوا من العلم إلا بما تعرف مأخذه من إمام مجمع عليه، وأصول محررة متعددة؛ وليكن اهتمامكم في العمل على مواظبته، والعمل به، وضبط أوقاته، وأكثر من اهتمامك بكثرته، وتعدد طرقاته؛ وكل حال لا يوافق ظاهر العلم؛ فهو باطل، وما لا يؤيده المبادئ؛ فهو في النهاية عاطل، واحفظ قلبك من الميل لغير مولاك وجوارحك من استعمالها في غير ما به تولاك، وعد نفسك بين الناس غريبا؛ فلا ترى ما يواجهونك به عجيبا، واحذر غاية الجهد من التعزز بطريق الله، والاشتغال بمتوهمة المتصوفة الجاهلين الغافلين عن الله؛ كما قيل:

جنب الناس جانبا ... وارض بالله صاحبا

قلب الناس كيف شئت ... تجدهم عقارب

وعليك بخمسة أمور:

- الأول: ملازمة الوضوء؛ فإنه ينور القلب والقالب، ويحبب العهد للخلق.

- الثاني: قيام الليل؛ فإنه يورث الهيبة، ويجمع الحقيقة، ويعين...؛ وليكن أهم ما عليك فيه العز، واعتبار النشاط.

- الثالث: تلاوة القرآن؛ فإنها تفتح باب الصدق، وتوصل العبد إلى مقعد صدق. لا سيما من التأمل، والاعتبار، والتفكر، والتذكار.

- الرابع: الإعراض عن المادح، والذام. ضنًّا بوقتك، وفرارا من مقتهم ومقتك؛ لأن من اشتغل بالمقابلات لا يفرغ أبدا.

- الخامس: ترتيب أوقاتك بالعبادة بكرة وعشيا وجوف الليل؛ فإنها عقود الحقائق. ثم ما بقي من أوقاتك؛ فاجعل لله (بين في أكثر كمالرء؟)، وهو طلب العلم الشامل النافع؛ كالفقه وأصوله، ونحو ذلك. ثم أن يكون لك في كل يوم متسعا لكلام القوم ومراجعته؛ فإنه يحيي القلب لا سيما إذا كان على فراغ من فارغ موقوفا على السماع المجرد، والبحث القريب؛ وكذلك يكون لك وقت تعتاد فيه التفكه والفرحة ونحوها؛ لتستعين به على أمرك؛ فأما إخوان الصدق الذين يتهمون أنفسهم ويبكون عليها؛ فقد ظهر في عللهم في هذا الزمان، وما زالت الأدواء؛ وهو غالب أو ذو حقيقة مختلطة غلبتهم حسن النية. ثم إن شهدوا فالطباع تعوقهم لا يقدرون على مخالفتها بحال؛ فإياك وإياهم... حسب ما بهم، والله المسؤول في التأييد والشدائد، والعافية، والسلام.

ومن كلامه ﷺ وأرضاه؛ وهي وصية أخرى تناسب هذه:

... فالناس رجلان مبتلى ومعافى؛ فاعذر المبتلى، واحمد الله على العافية؛ وإياك أن تحقر من ناوأك؛ كما حقرك؛ فتبتلى بمثل بليته؛ بل لا يزال ظنك فيه جميلا كما كان أول مرة. إلا أن يتعين أن تعاديه معاداة توجب له من الكتاب والاعتقاد. مع بقاء حرمته، واحذر هذا المرض ألا يصل إلى جسدك ليبقى قلبك سليما لكل مسلم، ولو سعى في قتلك، ولا يصل القوم إلا بسلامة الصدور، والشفقة على الخلق. مع حفظ النفس في عموم الأوقات.

فأما المبيت ليلة الجمعة فليكن مرة في مدة. إلا أن يكون في عزمة لغير الإخوان؛ فيحضر معهم بالسماحة، واحذر الحركة، واستحلاء الأحوال؛ فإن الحركة بير وضعف مع قلة العلم، وفقر البصيرة، وجوادب الأضداد تدعو للوقوع في المحرم إلا من عصم الله؛ وقد تقرر أن العزلة هي الانفراد بالجمال؛ فجد فيما تتوجه

له من غير تقديم على أحد فيما في الزمان ليس على شيء إلا بصديق الأنس؛ وهو أكبر الكبائر اليوم. أعني الذين يوجد عندهم السر؛ فإن الخلاط والخباط غلب على الناس؛ والمقصود إفراد القلب والقالب لله ورسوله؛ وهو عزيز جدا، وأذكر هنا قوله:

غريب عن الإخوان في كل بلدة إذا عظم المقصود قل المساعد

وقد تقلبت في هذا العالم تقلب جنت عن معين في كل وجه من وجوه البين؛ فما وجدت لذلك أثرا، ولا ضممت لها خبرا؛ وإلا عقدي أن تعمل في العلم بجدك تضرب في العمل بجدك، وتتولى الاقتداء بالناس بحمدك؛ بل تجعل العلم إمامك، والعمل متابعة قدامك، وتكون مع الناس بلى هواك، وتصرفك في تقلبك، وذلك بأن لا تخالطهم إلا فيما توجب فيه ثواب الله مع الاحتراز والاحتياط عن العزلة التي ذكر سيدنا، والله أعلم.

ومن كلامه أيضا ﷺ وأرضاه:

الحمد لله.

أما بعد:

فعليكم بتقوى الله، وأهمها عليكم فيما لا يطلع عليكم سوى الله ومولاكم؛ فبذلك يتحقق إخلاصها، ويذهب تعليلها، وانتقاصها؛ وبدوام اللجأ إلى الله تعالى في كل حال؛ فبذلك تنجح آمالكم، وتصلح أحوالكم، ولا تغفلوا عن ذلك في حال من أحوالكم، وبالحذر من الناس في حين حسن الظن؛ فإن الزمان فاسد، وشغل القلب بمساوئ الناس شر كله؛ فإياكم أن تقعوا في ذلك الفساد؛ فهي الماحقة؛ وبإيثار السلامة على الغنيمة؛ فإن رهائن الغنيمة لأسرعت إليه المهالك من حيث يدري؛ فالقناعة خير في الدنيا والآخرة، وبالتهمم بإصلاح القلوب والدوام في الأعمال، والتحقق في العلوم؛ فمن فسد قلبه؛ فعمله في غاشية. الأصل فعله وعمله. ما لو أن فعله فسد؛ ومن لم يكن عمله تجلية علمه كانت أعماله طمس في طمس؛ وكذلك من لم يكن عمله نتيجة علمه؛ فإن علمه نقص في نقص.

وأحذركم غوامض العلوم قبل بواديها، وطلب التحقيق قبل التصوف وإحكام المبادئ، والحاصل أن الصبر الجميل، والتوكل الصحيح محتاج إليه دائما، ويتأكد بخمسة عوارض؛ والله المسؤول في النقم والإعانة، والسلام.

وقال أيضا ﷺ فيما كتبه لبعضهم:

... واعلم أيدك الله وحماك وأصلح آخرتك، ودنياك أن مدار أحوالكم على:

علو الهمة، ونفوذ العزمة، وحسن القومة، وحفظ الحرمة، وشكر النعمة.

فمن رفعت همته أعلى الله درجته، ومن أنفذ عزمته أوجب الله كرامته، ومن حسن خدمته يسر الله طاعته، ومن حفظ الحرمة حفظ الله حرمته، ومن شكر النعمة تمم الله نعمته عليه؛ فعلى الهمة سار الفقر الصادق؛ ولذلك لا يطمع، ولا يدفع، ولا يشبع، ولا يخضع؛ ومن ترك واحدة من هذه؛ فقد أخطأ طريقه، وحرم توفيقه.

ونفوذ العزمة شأن الأمير؛ وإلا كان في محل التقصير.

وحسن الخدمة شأن العابد؛ وإلا كان متلاعبا متهاونا.

وحفظ الحرمة شأن الفقيه؛ وإلا كان فقيها رسما لا حقيقة.

وشكر النعمة واجب على كل من جد، وأول الناس هم السلاطين؛ لأنهم في محل النيابة، ومصاير النيابة؛ وإن كان الشكر مدح بالمنة، وقيام ما أمكن في الحق، ونفاذ ما يعين في وجه المقصد.

والذي يجب عليكم علينا خمس:

نصيحة واضحة بقدر الإمكان.

ودعوة صالحة على أي وجه كان.

والإكرام عند الملاقاة.

والسمع والطاعة في عموم الأوقات. والسلام. انتهى بكامله[1].

(1) بخصوص الرسائل والوصايا السابقة. انظر مخطوط الخزانة الوطنية رقم: 3612 د/ فلم 4286 من آخر صفحة 430 إلى صفحة 436.

أصول الخير في الدنيا والآخرة

ومن كلامه:

أصول الخير في الدنيا والآخرة ثلاث دنيوية، وثلاث أخروية، وثلاث كرامات؛ وواحد داخل في الجميع.

فالدنيوية: وجود العافية من جميع الجهات، وسعة الرزق في عموم الحالات، وطول العمر مع انتفاء المشوشات.

وأما الأخروية: فتقوى الله في السر والعلانية، والاستقامة فيما قل وجل، وقوة اليقين على كل حال.

وأما الكرامات: فقبول الخلق، وتيسير الأمور، والنفع والانتفاع مع سلامة الوقت من العوارض.

وملاذ ذلك كله: الشكر الدائم؛ فإنه يحفظ الموجود، ويجلب المفقود، والسلام.

الكناشة. ص: 94.

المقاصد الثلاثة:

ومن كلامه:

المقاصد ثلاثة: الرضى بالله، والرضى عن الله، والرضى من الله.

فعلامة الأول: التقوى، والاستقامة، وحسن الخلق لمعاشرة الخلق.

وعلامة الثاني ثلاث: ترك ما لا يعني من كل شيء، والقناعة بالكفاية في كل شيء، والتفويض لأمر الله مع كل شيء.

وعلامة الثالث ثلاث: حب الله، والتوكل على الله، واتباع رسول الله.

ولا يصح ذلك إلا بثلاث: إقامة الفرائض، واجتناب المحرمات، وترك الدنيا لأهلها.

ويستعان عليه بثلاث:

- علو الهمة؛ وهو بساط الزهد.
- ونفوذ العزمة؛ وهو مفتاح العمل.
- وحسن الخدمة؛ وهو مطية بلوغ الأمل.

وحسن الخدمة في ثلاث:

- صحة القصد في البداية.
- وصفاء الباطن في المعاملة.
- وتحقيق الاتباع بالاقتداء أو التبصر؛ أو ما في معناهما.

وأصل كل ضلال ثلاث:

* البدعة * والكبر * والتقليد.

فالبدعة: اعتقاد ما ليس قربة بقربة.

والكبر: رؤية الحق والحظ لنفسك.

والتقليد: أخذ إشارة الغير، أو قوله بغير دليل شرعي، ولا عقلي، ولا عادي في كل حالة. والخروج عن التقليد بتبصر، أو اجتهاد، أو اقتداء.

فالاقتداء اتباع عالم مستقيم في حاله، وأخذ ذلك بدليله الخاص فيه من غير استبداد بالنظر فيه.

والاجتهاد بالنظر فيه بالاستبداد وضع أرفع في العموم إلا من تحقيق المناط، وفي باب الغيبيات.

الكناشة. ص: 93

أصول الخير (أيضا):

أصول الخير ثلاثة: التواضع، وحسن الخلق، والنصيحة.

فالتواضع تتبعه ثلاثة:

الإنصاف من نفسك، وترك الانتصاف لها، وخدمة المؤمنين.

وحسن الخلق تتبعه ثلاثة: العدل في الرضى والغضب، والقصد في الغنا والفقر، وخشية الله في السر والعلانية.

والنصيحة تتبعها ثلاثة: العمل الصالح، والعلم الصحيح، واتباع الحق في كل حال.

وأصول الشر ثلاثة: خوف الخلق، وهم الرزق، والرضى عن النفس.

فخوف الخلق تتبعه ثلاث: المداهنة، والرياء، والجهل على الناس.

وهم الرزق تتبعه ثلاث: الطمع والحرص، وقلة المبالاة بأمر الدين والدنيا.

والرضا عن النفس تتبعه ثلاث: احتقار الخلق، وتأويل الباطل، وظهور الدعوة بمفارقة الصدق.

وأصول الكرامات ثلاث: لسان رطب بذكر الله، وقلب مفعم بشكره، وبدن هين لين بطاعته.

فتثمر ذلك ثلاثة: تنوير القلب، وتحقيق المعرفة، واتساع الحال.

ويثمر الشكر ثلاثا: طيب الحياة بالرضا، والمزيد في النعمة، ودوام العوافي فيما أنت فيه.

وثمر لزوم الطاعة ثلاثا: حلاوة المناجاة، ودوام العز بالله في جميع الحالات، والنجاة من العلل والآفات. يقول الله تعالى: "عبدي أطعني فيما أمرتك، ولا تعلمني بمصالحك".

انتهت الأصول المذكورة بحول الله. مخطوط الخزانة الحسنية رقم: 12298.

ومن كلامه رضي الله تعالى عنه، ونفعنا به:

... أما بعد؛ فإن الدنيا دار التشويش، والتفتيش، والنهش، وكل ريح فيها فعن قريب منفش؛ فكن بربك متعلقا، وبفقرك وفاقتك متحققا، واعلم أن الحذر لا ينجي من القدر، والقدر لا يرفع الحذر؛ فاعتمد على مولاك في جميع أمورك، وكن من الزمان وأهله على حذر، واعتصم بالله تجد الله أقرب من اعتصامك؛ وما الذي تقدر عليه غير ابتداء افتقارك إليه؛ فالله الله في التزام اللجإ إليه دائما، وكثر حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت، وهو رب العرش العظيم، واحرص في طول زمانك أن يكون هذا نطقا، واعتقادا، ولا تترك التقوى لما ترى من التقصير في الحال؛ فعلى الكريم يتفضل، وهو أولى من قبلنا على ما نحن عليه، ومن لم يكن العمل في

أركانه؛ فليكن على طرف لسانه، وما أحسن العبد في باب مولاه على أي حال كان، والسلام.

ومن كلامه أيضا:

الحمد لله. الناس في المراقبة على ستة أقسام: العلماء، والأمراء، والتجار، والأغنياء، والفقراء، والنساء.

فمراقبة العلماء التواضع، وبذل النصيحة لعامة المسلمين، والرفق بجميع الطالبين والمتعلمين. مع قطع التكبر، والعجب.

ومراقبة الأمراء: العدل بين عباد الله، والتمسك بكتاب الله، واتباع سنة رسول الله ﷺ، وقطع الجوار عن القوي والضعيف، والإنصاف بين الوضيع والشريف؛ كما كان يفعل النبي ﷺ؛ وإحكامه عدل لا يميل ولا يحيف.

ومراقبة التجار: ترك الذم والمدح عند البيع والشراء، والتحفظ من الرياء في الأخذ والعطاء، والبخس في المكيال والميزان.

ومراقبة الأغنياء: أداء الحقوق التي جعلها الله في أموالهم، والتواضع في أفعالهم، وطلب الرزق من أبواب الحلال. مع قطع الشكوى، وذكر أن دعوة الفقير مستجابة؛ إذا سأل الله تعالى في أمور الآخرة، وكان راضيا متلذذا بفقره؛ فإذا سأل الله في متاع الله مقته الله عز وجل، ومحاه من ديوان الفقراء[1]؛ لأنه غير راض عن الله تعالى فيما قدره وقضاه، وحكمه وأمضاه.

وإذا أحب الله عبدا واصطفاه. فتح عليه باب الفقر، وجعل الغنى في قلبه، وصب عليه البلاء صبا، ورزقه على ذلك الصبر الجميل؛ وإذا كان ذلك جعله الله من الصالحين الصديقين.

ومراقبة النساء: حفظ الأزواج، وصون الفرج، ولزوم البيوت، وكثرة السكوت. مع أداء الفرائض. انتهى.

---

(1) يقصد بالفقراء: المفتقرين إلى الله، والمريدين السالكين، ومن هذا المعنى قول مدين أبو شعيب:

ما للمساكين مثلي مكثري الزلل...

ومن كلامه ﷺ مكاتبا لإخوانه ومن تعلق به، ومن أراد الانتماء لطريقه[1]:

الحمد لله؛ أما بعد: خير الكلام ما قل ودل وجمع وحصل، وعلم بلا عمل وسيلة بلا غاية، وعمل بلا علم جناية، وأهم العلوم ثلاثة: الفقه للأديان، والطب للأبدان، والتصوف للجنان، وما عداها فوسواس وهديان ليس تحته طائل، ومن طلب العلم لنفسه فقليل يكفيه، ومن طلب لغيره فمسائل الناس لا تنتهي، وأنصح الناس من نصح لنفسه وعمل ليوم حلول رمسه، وقاعدة التحقيق ليس إلا سابقة التوفيق فعليكم باتباع السنة ففيها شهود المنة والتزام الجماعة فهي الجنة، وتخيروا من كل علم أبينه لتكونوا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه. قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾؛ وقال عز وجل من قائل: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾، وقال جل وعلا: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ﴾؛ فعليكم رحمكم الله بالأمر الأول أمر الصحابة والتابعين؛ فعليه المعول فلن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما أصلح أولها، ولا هداية إلا فيما كان عليه معولا، فالخير كله في الاتباع، والشر كله في الابتداع، واعلموا أن السلف ﷺ لم يكونوا يخوضون في علم الكلام في الإيمان والإسلام ولا في الصفة والموصوف ولا في التلاوة والمتلو، ولا في القدرة والمقدور؛ بل يعتقدون التنزيه ونفي التشبيه ويفوضون الأمور فيما عارض العقول من النقل؛ فيقولون في كل محتمل التشبيه ما قاله مالك في الاستواء. إذ قال: "الاستواء معلوم والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة"، وينزهون الأنبياء عن كل ما يقضي نقصا من إثبات ما أثبت الله لهم؛ إذ للسيد أن يقول لعبده ما شاء، وقائلين في ذلك كله ما قاله الإمام محمد بن إدريس الشافعي ﷺ إذ قال: "آمنا بما جاء عن الله على مراد الله، وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله"، ويرون بفضل الصحابة على مراتبهم؛ فقد قال مالك: "أدركت

(1) توجد نسخة منها في مخطوط الخزانة الحسنية رقم:12217. تحت عنوان نصائح الشيخ زروق.

أهل العلم ببلدنا لا يفضلون أحدا من الصحابة على أحد، ويقولون الكل فضلاء ويثبتون للملائكة ما أثبت الله لهم من العصمة، ونفي الأنوثة من غير تعرض لما وراء ذلك إلا بما صح عن رسول الله ﷺ، ويرون التفضيل بحكم من الله ليس للخصائص فيه محل، ولا يفضلون ملكا ولا غيره إلا بنص، ويدعون الجزم بما لم يثبت كنبوة الخضر ولقمان وذي القرنين". مع إثبات ما أثبت الله لهم من علم أو حكمة أو ملك، ومريم صديقة، ويسلم على الجميع، ولا يصلي عليهم. كذا ينبغي، ويعتقدون المعاذ الجسماني، وعذاب القبر ونعيمه وحياة الشهداء ونحوه من غير كيف، وكل أحوال الآخرة لا يخوضون في تفاصيلها إلا بما علموا صحته ويثبتون رؤية الله في الآخرة بلا كيف؛ كما يعلم بلى كيف، وينفونها في الدنيا بحديث مسلم في الدجال: "إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور، وإن أحدا منكم لن يرى ربه حتى يموت"، ولا يحتمون لأحد بالجنة، ويترحمون على المؤمن بعينه، ولا يلعنون كافرا بعينه إلا من صح تعيينه في الجانبين، وكل مؤمن في الجنة، وكل كافر في النار، والكف عمن قال: لا إله إلا الله أن يكفر بذنب أو يخرج من الإسلام بعمل، ويرون الاستثناء في الإيمان بحسب الخاتمة لا في الحال، وفي الكتاب والسنة زيادة الأعمال لا نقصانه؛ وقد علم أن القول يزيد ولا ينقص، والعمل يزيد وينقص، والعقد يزيد ولو نقص لكان كافرا إذ مرجعه لشطح أو نحوه، وكل خبر صح في أمور الآخرة سلامة العقيدة في حمله على ظاهره، وقصره على ما ورد فيه نصا من غير تعرض لما وراء ذلك وأصول الأحكام: الكتاب والسنة؛ فكل ما لم يستند إليهما فبدعة مضلة، وقد قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾، فرد الجاهل للعالم لكنه لا علم على الحقيقة إلا من يخشى الله فمن عول على كلامه لعب في دينه فمتلاعب، فإن تتبع الرخص فمتهاون بدينه؛ فإن أخذ عن عالم لا يعلم ما يأتيه ولا يدري ما مستند ما يقول فعقله مذموم؛ وإن استند في الأخذ عنه إلى ديانته فمقتد، ولهذا وجب على الإمام تعيين المفتي وإن أخذ عنه مع العلم بمستنده فمتبصر، وعندي لا يسوغ لطالب علم أن يعامل الله بما لا يعلم مستنده، ولا يجوز أن يستند لرأيه في ذلك دون رجوع لعلماء الأمة، ويقدم أبدا مذهبا معينا طلب على

قواعده فلا يخالفه إلا لنص أو احتياط اقتضاء قول مكافئ له من العلماء، ومتى كانت المسألة خطيرة فليعامل على إمامه فيها لا على مقتضى القياس عنده؛ فإن المجتهد في هذا الزمان إلى الخطأ أقرب منه إلى الصواب؛ ومتى أراد العمل بمسألة من غير مذهب التزم ما تتم به، فالشافعي لا يقول بأن يبطل الصوم بسهو الأكل إلا مع لزوم البيات كل ليلة، ومالك لا يقول بسقوط البيات إلا مع البطلان بسهو الإفطار؛ فمن عمل بأحد المزيتين دون الآخر خرج عن المذهبين فيهما، والمذاهب كلها طرق إلى الله، وتتبع الرخص فسق على الإجماع، وإذا اختلفوا في الفروع لم يخرج عن طاعتهم، ومن طالع فقه الحديث اهتدى، ومن انتصر على الحديث ربما هلك؛ فليكن لكم من كل نصيب تروا من ذلك العجب العجيب، وعاملوا الله في كل قضية بالعلم تفلحوا، ولتكن نية في كل شيء تربوا، وأقيموا الصلاة تدركوا أحسن المآب، ولا تتقيدوا بقراءة في الفرائض، ولا بطلان الصلاة بوسواس عارض؛ فقد ذكر رسول الله ﷺ التشهد وهو في الصلاة، ونظر في الغلام، والاستمانية؟ حديثها مشهور، وقال عمر إني لأجهز الجيش وأنا في الصلاة. إلى غير ذلك، وعليكم بصلاة مالك فلها تشهد نصوص السنة، ودعوا عنكم ما في الرسالة بعد التشهد وقبل الصلاة على محمد ﷺ من تلك الخطبة؛ فلا أصل لها، وما وراء ذلك؛ فإنه من تخير المسألة، وإياكم والوسوسة فإنها بدعة وأصلها جهل بالسنة أو خبال في العقل يدفعها إدامة: "سبحان الملك الخلاق"، وعقب كل ورد عددا معلوما مع عدم الاحتفال بدعوة الشيطان، وقد قال بعض الشافعية: "الإجماع على حضور القلب في الصلاة، والإجماع على أنه لا يلزم في كلها بل في جزئيته ينبغي أن يكون في تكبيرة الإحرام"، وآتوا الزكاة طيبة بها نفوسكم معتقدين أن ما بأيديكم كله لله إلا أن الأمر الوجوبي بينا، وهذا القدر منه، وصوموا شهر رمضان معظمين حرمته قائمين به على أحوط المذاهب وأحسنها، وهو مذهب مالك مع جزم الباطن أبدا عما سوى الله تعالى، والظاهر عن طالب الدنيا وسائر الجوارح عما لا ينبغي، وإن أمكنكم حج بيت الله فحجوه بعد تحقيق الشروط الموجبة أو قيام الحالة الغالبة وتثبتوا في الأمر؛ فإن الخارج في هذه الأزمنة قل أن يسلم من هوى أو معصية،

وإياكم والجزم بأن الحج ساقط عن أهل المغرب؛ فإن ذلك إساءة أدب مع الله، وليس الحج على الحقيقة إلا لمن عرفه، وإليه الإشارة بقوله عليه السلام: "الحج عرفة"، والجهاد مطلوب لكن ما لم تصحبه الفتن المهلكة، وما تعين لا عذر فيه، وأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ما لم يؤد إلى منكر، وقد عاش من عرف قدره وستر نفسه، وأصلح ما بينه وبين ربه؛ وقد قال رسول الله ﷺ: "ثلاثة لا يخلوا منها ابن آدم: الطيرة، والحسد، والظن؛ فإذا تطيرت فامض، وإذا حسدت فلا تبغ، وإذا ظننت فلا تحقق، وانصحوا لله عباده نصيحة من يعلم أن الله مطلع عليه"، والنصيحة لله بإقامة أوامره، واجتناب نواهيه، ومن منهيات العين النظر فيما لا يحل كتبه طلبا له، وفي شهوة في امرأة أو غيرها، وفيما ستر عنك من مال أو كتاب أو غيره حتى جوانب البيت الذي أذن لك في دخوله لغرض إن خيف اطلاع على مستور فيه؛ فإنما جعل الإذن من أجل البصر، وشزر المسلم واحتقاره والغمز عليه والنظر إلى الجبابرة تغميضا، ولما عظموا من أجله، والنظر في القرد، وفي الكوكب بالمنقض؟ وفي عورة نفسك؛ وإن قيل بإباحته لما يخاف على فاعله من الزنا والنظر في فرج الغير وإن أبيح كالزوجة؛ فإنه يورث قلة الحياء وإذاية البصر، وفي اللسان الكذب إلا في الدفع عن مال ونفس لك أو لغيرك، والتحكم بحكم لم تره، والدعوة والفخر والفتيا بغير علم وإضافة فائدة الغير لنفسك بتغيير عبارة، والحلف بلا ضرورة، واليمين بغير حق، والجدال، والسخرية، والتزكية، ومدح الباطل، والحلف بالأمانة، وبدين غير الإسلام، والطلاق، والعتاق، والسب، واللعن، والطعن، والدعاء على الظالم، وغيره، وقطع الشهادة بكفر أو إيمان أو جنة أو نار وكتمان العلم عن مستحقه، وبذله لغير أهله، والخوض في الجدل والكلام والنجوم ونحوها قبل أحكام أصل الشريعة، وتصحيح القصد وسب البرغوث أو الديك أو الريح أو البخس والبدا، والتسمية بما منع أو كره كمالك إلا مالك؛ إلى غير ذلك مما نهي عنه شرعا، وفي الأذنين سماع ما لا يحل سماعه؛ وهو ما لا يجوز النطق به عن نعت الرضا، ومنها العيبة لغير تحذير ولا تظلم ولا استناد ولا مشورة ولا غيرها مما إذا لم يذكر لحق منه أخاك ضرر واضح، ومن ذلك سماع ما يشتهي على وجه

الشهوة، وكلام أهل الباطن، كالمثني على ظالم ونحوه، وفي اليدين ما لا يحل النطق به والقتل وأخذ المال بغير حق، وضرب من لا يحل ضربه، ومس العورة فإنه كالنظر إليها؛ ولهذا نهى عن تضاجع بالغير في لحاف واحد ليس بينهما شيء حائل، وأبيح ذلك كله في ضرورة كالطب والشهادة ونحوها مما يتوقف كمال الوجود عليه، وفي الرجلين السعي لما لا يحل السعي إليه كأبواب الظلمة وسائر المعاصي والفرار من الزحف، ومنه القيام إلى الأكابر تعظيما؛ وإن أجازه بعضهم فالأحاديث تدفعه، وفي البطن أكل الحرام والشبهات القوية ومنها ما ظن بعلامة غالبة كأموال الظلمة ونحوها فمن تركها بدليل ومن أخذها فبتأويل؛ وقد قال بعض العلماء: المال كالماء هذا لا ينجسه إلا ما غير، وهذا لا يحرمه إلا ما غير، ومن قال إن الحلال ضالة مفقودة كأنه يقول: أولياء الله لا وجود لهم، أو يأكلون الحرام، ومن ضيق على نفسه اتسعت عليه؛ فخذوا بما لم يتفق عليه من كل شيء؛ وأما الفرج فلواطه وزناه واستمناه بصورتهما محرم، وفي اليد التحريم لمالك والشافعي والإباحة لأحمد والنعمان. قال ابن العربي: "ليت شعري لو كان نصا بالجواز أكان ذو همة يرضاه لنفسه"، والاستقامة والتوبة بلا اضرار وعمـــل تقصير ودوام بلا فترة؛ وقال رسول الله ﷺ: "أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل"، وقال: "إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة وقيام الليل".

وأعداد الأوراد من الصلاة من الضحى ست، وقبل الظهر أربعا وبعدها ركعتين وقبل العصر أربعا وبعد المغرب ركعتين ومن الليل ثلاث عشر ركعة، وبعض الذكر ما بعد الصبح إلى طلوع الشمس، وما بعد الإسفار إلى الغروب، وبعد المغرب لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير قبل كلامه وفك عقاله عشر. أخرجه الترمذي وغيره؛ وكذا حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ليكفى همه. رواه أصحاب الأربعينيات، والصلاة على محمد ﷺ عشرا ليصلي عليه ربه فيأمن سخطه وتختم له الكل بقوله: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ إلى آخره مرة ليكتال بالمكيال الأوفى كما ورد عن علي كرم الله وجهه.

ووظيفة المساء والصباح وقتها من العصر إلى العشاء ومن الفجر إلى طلوع الشمس. أولها الإخلاص والمعوذتين. خرجه ابن سني عن عائشة قراءتها ثلاثا كفاية من كل شيء. إلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم مرة؛ وقيل هو الإسم العظيم الأعظم، وهكذا ما بعده من الآيات الثلاث أول آية الكرسي مع أول آل عمران، وعنت الوجوه للحي القيوم أخرجه الترمذي وأبو داود، وآية الكرسي مع أول غافر حفظ من كل شيء. قاله الترمذي عن أبي هريرة مساء وصباحا، وخاتمة البقرة أمان من الشيطان؛ كما صح في النسائي والبخاري وغيره، و﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾ مرة. رواه أصحاب الفضائل عن معاذ لأداء الدين. اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن إلى آخره خرجه أبو داود. اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم إلى آخره كما روي في الترغيب والترهيب، وسيد الاستغفار: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت... رواه البخاري. اللهم إني أصبحت منك في نعمة... إلى آخره تمام نعمته. اللهم ما أصبح بي من نعمة... إلى آخره لشكر نعمته. رواه أبو داود وابن السني. يا رب لك الحمد... لا أحفظ الآن مخرجه، ورضيت بالله ربا. رواه أبو داود والنسائي وصححه الترمذي، وسبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه... إلى آخره رواه أهل المتفق عليه، وأعوذ بكلمات الله التامات... إلى آخره. خرجه مسلم وغيره. بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء... إلى آخره. لم تصبه فجأة بلاء، وأعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثلاثا مع آخر الحشر. خرجه ابن السني وغيره، وصح فيه ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ﴾ ... إلى ﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾. قال الغافقي آية الحرص قال سيدي...؟ وتكون لكل مخوف ثلاثا؛ فلذلك كررت. ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين، وخاتمة التوبة: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ﴾ ... خرج حديثها الغافقي لم يمت هدما ولا غرقا ولا

ضربا بحديد وخرج ابن السني عن أبي داود: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ اللّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ سبعا و﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١﴾ أمان من كل خوف ذكره النووي عن القزويني، والكافرون والنصر قال البلالي لهما بركة عظيمة في السفر والصلاة على محمد ثلاثا رويت مساء أو صباحا لكفاية الهم و﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ﴾ إلى آخره خرجه أبو نعيم عن علي ليكتال بالمكيال الأوفى؛ وعليكم بتلاوة القرآن، واجعلوا ختمكم في كل سبعة أيام، ولا تجاوز به الشهر؛ وإياكم وكثرة الصوم فإنه يضر الطبيعة، وإذا أردتم الجوع فتجوعوا من غير صوم، وهذا كله ليس بحصر وليكن بحسب النظر، والعبد لا يخلو عن طاعة يجب عليه شهود المنة لله فيها ومعصية يجب عليه التوبة منها، ونعمة يجب عليه شكرها، وبلية يتعين عليه الصبر فيها؛ فراقبوا أوقاتكم ولا تغفلوا عن حالكم بإحكامها، وعليكم بالدعاء في الأسحار وإن كانت مناجاة ابن عطاء الله فلا بأس؛ ولكن قدموا قبلها وبعدها الصلاة على محمد ﷺ تسليما، والحمد لله أول كل شيء وآخره. كملت.

ومن نصائحه:

بعد الحمدلة والتصلية:

أما بعد يا أخي؛ فإن الدنيا غولة من غفل عنها أكلته والآخرة مهولة من لم يراقبها فاجأته؛ وعن قريب فكأنما بالدنيا لم نكن وبالآخرة لم نزل، والمؤمن الكيس من كان مثل الفكرون إذا رأت الناس أدخلت يديها ورأسها ورجليها، وإذا وجدت الخلوة انبسطت لنفسها، ومن تعرض لمصالح العامة فقد سلط البلاد على نفسه دينا ودنيا؛ ومما أنشدنا شيخنا ابن عقبة رضي الله عنه:

عش خامل الذكر بين الناس وارض به   فذلك أسلم للدنيا والدين

من عاشر الناس لم تسلم ديانته   ولم يزل بين تحريك وتسكين

آش ترقع. يا من خرجه مرقع. فإن عذلوك ولاموك وأكثروا عليك بالتهويل وأقاموا عليك الدليل، فقل ما أنشدنا شيخنا ابن عقبة:

وقائلـــة مـــا لـــي أراك مجانبـــا أمـــورا وفيهـــا للتجـــارة مـــربح
فقلـت لهـا مـا لـي بربحـك حاجـة فـــنحن أنـــاس بالـــسلامة نفـــرح

ومن كلامه:

ينبغي مطالبة كل على قدر حاله؛ فيطالب العاصي بالتقوى، والطائع بالاستقامة، والمريد بالصدق، والعارف بالورع؛ فعاصي لا تقوى له فاجر، وطائع لا استقامة له قاصر، ومريد لا صدق له متلاعب، وعارف لا ورع له ناقص، ومن طالب أحدا فيما ليس له فقد جار عليه؛ وهذه كلها عمدة، فلزم أن يعطى كل أحد حقه وبالله التوفيق.

وصية الشيخ أحمد زروق لبعض أصحابه[1]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه؛ وبعد:

عليكم بتقوى الله الذي لا بد من لقائه، واحذر مخالفة أمره في شدته ورخائه، وأحدث لكل ذنب توبة، ولكل التفاتة رجعة؛ فإن المرء غير معصوم من الزلل، وغير واثق بنفسه في دوام العمل.

ومن غز عليه دينه هانت عليه الأمور كلها، ومن ترك نفسه دارت عليه الدوائر؛ فلا في الدنيا يفلح، ولا في الآخرة ينجح.

ومن كان همه ما يكفيه؛ فأقل شيء منها يكفيه، ومن طلب من الدنيا ما يغنيه؛ فكل شيء منها لا يغنيه، ومن كان شرفه بعلمه نال جميع أمله، ومن كان شرفه بنسبه كانت نجاته أبعد من عطبه؛ والناس أبناء أخلاقهم[2].

ومن أحب قوما كان مثلهم، واحذر حب الظلمة وموالاتهم، وجانب أبناء الدنيا ومخالطتهم؛ وإذا خالطتهم؛ فاحذر منهم. إنما يريدونك على تكميل دنياهم، ولما

---

(1) مخطوطات جامعة الملك سعود.

(2) لم يهتم الشيخ أحمد زروق بنسبه الطيني، ولم يفاخر بشرفه قط. حيث رأى أن الشرف كل الشرف، والرفعة كل الرفعة في العمل الصالح.

يوافق هواهم؛ فيوقعونك في المحرمات الصريحة[1]، ولا تطاوع من لا يبالي بعرضه في تحصيل غرضه[2]، وإياك والتجسس على الأمور، والتطلع على الأخبار؛ فإن من أراد أن لا يفوته خير لم يفته ضرر، واحذر أن تعامل رعيتك[3]، ومن في معناهم معاملة السيد في عبيده؛ فإن الله يغار على المسكين؛ ولو كان عاصيا.

واغتنم دعاء رسول الله ﷺ؛ وهو قوله: "اللهم من ولي من أمر أمتي شيئا؛ فرفق بهم؛ فارفق اللهم به، ومن شق عليهم؛ فشق اللهم عليه".

وهذا يتناول من له أدنى ولاية في الغالب.

وعليك بالذكر؛ ولو تسبيحة، وبالقرآن؛ ولو آية، وبالصوم؛ ولو يوما في الشهر، وبالصلاة؛ ولو ركعة في جوف الليل، وبالصدقة؛ ولو لقمة لكلب، أو هر. تبتغي بها وجه الله تعالى.

وهذا كتاب نصيحة لا كتاب تبرك؛ فلا تقرأه من فوق فوق، وتجعله في الصندوق؛ ولكن ذكر به نفسك المرة بعد المرة، وإن قدر الله بغيرها؛ فسيكون؛ وهذا ما بلغنا، والحمد لله رب العالمين.

عموما فإن رسائل الشيخ زروق مجتمعة لم تبق زاوية من زوايا الطريقة الصوفية الزروقية إلا قعدت مبادئها، وأصلت أسسها، وأنارت محجتها التي إن اهتدى بها المريد السالك فإنه يترقى في المقامات الربانية.

وباختصار فقد تميزت آراء الشيخ أحمد زروق الإصلاحية بـ:

---

(1) لقد جانب الشيخ أحمد زروق الظلمة من الحكام خاصة، وأبناء الدنيا عامة؛ لأنه رأى في انضمامه لبلاطهم خدمة لمصالحهم؛ فأعلن تجرده لله، وأفسد عليهم خططهم في ضمه لخدمتهم؛ بتقليده منصبا ساميا في بلاطهم.

لقد استحمق الششتري فأبعدوه، وتجرد الشيخ أحمد زروق فأبعدوه وما تركوه.

(2) وهذا شأن الكثير من أهل الدنيا؛ والعياذ بالله.

(3) من هذه الكلمة يتضح أن الشيخ أحمد زروق وجه نصيحته هذه لمن له شأن ديني أو منصب دنيوي. يؤكد ذلك استدلاله بالحديث اللاحق.

- الاحتكام إلى الكتاب والسنة وعمل السلف الصالح في العبادات والمعاملات.
- تنبيه المخالفين وإسداء النصح لهم بأسلوب قائم على الإقناع بالحجة والمنطق. مع تجنب التشهير، والأخذ بالأعذار.

الرسائل المصراتية

* تتضمن نماذج من الرسائل التي وجهها الشيخ أحمد زروق إلى تلامذته ومريديه من مقر نشر دعوته الزروقية الإصلاحية بمصراتة.

* الرسائل سلمني نسخا منها الشيخ: مصطفى أبو عجيلة. أمين مكتبة الزروق بالمنارة الزروقية. مصراتة. لما قمت بزيارتها سنة: 2008م.

* للشيخ أحمد زروق إقامات متعددة، وصداقات كثيرة ومتينة في أكثر من مكان من أمكنة ليبيا الواسعة...

إن الشيخ زروق هو افريقي قبل كل شيء...؛ فهو مغربي جزائري تونسي مصري سوداني باعتبارات متعددة...

فبناء على هذه المعطيات؛ فإن الحديث عن زاوية الزروق هو حديث عن ليبيا كلها، وبالتالي فإن زاوية الزروق بمصراتة إذا نظر إليها على أنها مفخرة - وهي كذلك -؛ فإنها مفخرة لكل الليبين.

زاوية الإمام أحمد زروق. للشيخ مصطفى أبو عجيلة ج: 1. ص: 32/ 33.

... وعلى هذا فيمكن اعتبار الإمام زروق من أهم عوامل التوحيد بيننا نحن الأفارقة بصفة عامة، وبلدان وأماكن التجمعات السكانية في كل من الساحل والصحراء بصفة خاصة. استنادا إلى ما تقدم من المعطيات، واستئناسا بالتاريخ في القديم والحديث؛ حيث قد سبق أن جمع الزروق بين بقاع كثيرة، وبين مختلف الطوائف من أبناء كل من المغرب، والجزائر، وتونس، وليبيا، ومصر، والسودان.

... وبعد كل ما تقدم ذكره تبين أهمية موقع ليبيا - لا سيما مصراتة - بالنسبة للاتصال بإفريقيا، وخاصة في المجال الروحي؛ مما سهل في الماضي ويسهل في الحاضر والمستقبل على المريدين والمحبين للشيخ زروق مهمة الاتصال بعضهم

ببعض في زاويته، كما كان – وكما سيكون بإذن الله –؛ وذلك من أجل التعاون على البر والتقوى؛ كما أرشدهم إليه زروق من خلال ما فهمه من الكتاب والسنة. المرجع أعلاه.

الرسالة الأولى:

الحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما إلى يوم الدين آمين.

الشيخ الفقيه المبارك أبي زكرياء يحيى بن أبي بكر المحجوب[1]. تولاه الله بلطفه في الدنيا والآخرة.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛ أما بعد:

فلا زيادة إلا الخير والعافية والحمد لله. ثم تذكيركم بالعهد القديم والود العظيم بتجديد التحية، والتسليم عليكم، وعلى الشيخ سيدي أبي بكر، وكافة أولاده وإخوانه تولاهم الله بلطفه في الدنيا والآخرة، وقد بلغنا أنكم بعثتم الأولاد[2] لورفلة. يعز ذلك علينا كثيرا، ورأيناه من التعرض لأسباب الندم لكون تلك الجهة

---

(1) يظهر أن الشيخ أحمد زروق كانت تربطه بآل المحجوب رابطة قوية تعود إلى تاريخ سابق عن تاريخ كتابة الرسالة؛ يؤكد ذلك تذكيره إياهم بالعهد القديم والود العظيم، ولا غرابة في ذلك فآل المحجوب يعود أصلهم إلى المغرب؛ كما أن الشيخ زروق يظهر أنه مر بآل المحجوب في زاويتهم من قبل غير ما مرة في طريق ذهابه إلى المشرق أو عودته منه؛ وأثناء انتقاله بأرض ليبيا قبل أن يستقر به المقام في منطقة الزروق (تيكران).

(2) يقصد بالأولاد هنا التلاميذ الذين كانوا يدرسون بالزاوية الزروقة؛ - لأن ابني الشيخ أحمد زروق (أحمد الأكبر، وأحمد الأصغر)، ويحيى البجائي/ اللجائي - لم يكن قد استقدمهم من المغرب بعد. حيث كان من المألوف أن تخصص أيام لإخراج التلاميذ والمريدين والمنتسبين للزاوية للسياحة والتنزه في ضواحي المدينة (مصراتة/ منطقة الزروق).

إلا أن الشيخ أبا زكرياء سمح لهم بالابتعاد عن الضواحي والمنطقة؛ لذا نجد الشيخ زروق يعاتبه بشدة.

غير سالمة من العدو؛ وإن كان قد ارتفع منها؛ فإنه لا يؤمن وثوبها[1]؛ كما جرت به العادة في القادمين من الآفاق قديما وحديثا؛ ولكن ما شاء الله لا قوة إلا بالله. لا يبلغ الأعداء من جاهل ما يبلغ الجاهل من نفسه، والشيخ لا يترك أخلاقه حتى يوارى في ثرى رمسه: الجبن، والجراءة، والسخا، والبخل غرائز يضعها الله حيث يشاء[2]؛ كما قال ﷺ.

وأصل كل بلاء ومحنة الأنس بهذا العالم والإعجاب بحركاته؛ فإن صاحبه إن مات مات بحسرة، وإن فقد شيئا عظمت عليه المصيبة حتى لو عزم على الصبر ما أطاعه، ولو تصبر لهلك فلزم نفسك أيها الأخ مفارقة من لا بد من مفارقته ليلا يؤلمك فراقه؛ وذلك بأن تقدر(أن كل) عدما أو تذكر طروء آفة الفقدان عليه دائما؛ وما هذه الحياة الدنيا إلا لعب ولهو وزينة وتفاخر. عرض معد للزوال أو الفنا والانصراف لا يبقى إلا الله؛ لكن كما قيل:

كـــأني أنـــادي أو أكلـــم أخرســـا

إنما يسمع مثل هذا الكلام من عنده شيء من مفارقة المألوف؛ فأما من أخذت الدنيا بمجامع قلبه، وذاق طعم وجوده فيها بعد أو كان عنها بمعزل؛ فقد أعمى الله قلبه بحبها وطمس بصيرته بإرادتها؛ فلا هو يسمع، ولا يرى، ولا يذكر، ولا يبصر؛ بل هو ميت لبطلان وجوده، وتلفه بوجوده؛ ويساعده على ذلك ما يفتح من باب التأويل، وما يجده من نص ودليل.

---

(1) الفقرة السابقة تشير إلى أن منطقة ورفلة لم تكن آمنة، وأنها كانت تتعرض من حين لآخر إلى غارة النصارى، أو قطاع الطرق؛ وإلا لما كان لقلق الشيخ أحمد زروق على تلامذته أي مبرر.

(2) يصف الشيخ زروق الشيخ أبا زكرياء بأوصاف لا يجرؤ على وصفه بها إلا الشيخ أحمد زروق، ويتحامل عليه في بقية الرسالة.

هذا هو الشيخ زروق كما عهدناه ما ترك له قول الحق من صديق؛ وما كان أغناه عن ذلك وهو الغريب الوحيد في مصراتة. إلا أن الشيخ زروق ما كان ليسكت عن قول الحق ولو في أحلك الظروف، وقد رأى تنكر الأبناء للآباء، واستغلوا سمعة الآباء - الشيخ المحجوب - لتحقيق الأغراض الدنيوية.

فـلا هـو مقتـول ففـي المـوت راحتـه ولا هـــو ممنـــون عليـــه فيعتـــق

هذا كلام أحرش جدا لكنـه صدر عن قلـب يحب لكـم ما يحب لنفسـه إن قبلتموه؛ وإن ضربتم به عرض الحائط فلا عتب إلا على من يضرب في حديد بارد. انتبه من نعاسك (وانت... اب) لخلاصك، وانظر أين تلو رأسك. كلام الحبيب يبكي، وكلام العدو يضحك. طال المشوار ونهق الحمار، ولا انتفا من عن هذا الكتب. فيه سهام ومجانق ومدافع كلها طيب جميل حسن موصل للحق (القاذن) سمعك للحق إن كنت من إخوان الصدق. قال الله تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾، وقال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾، وقال رسول الله ﷺ: "تعس عبد الدينـار. تعس عبـد الدرهم. تعس عبد القطيفة. تعس عبد الخميسة. تعس وانتكس، وإذا شيـك فلا انتفس؛ إن أعطي رضي، وإن لم يعط لـم يرض". نعم وأيـن للدنيا عيب الإجهاد، والمباهاة بها والاستكثار، وإيثار الأغراض على الآثار. يفتخرون بآبائهم ويقتدون بأبنائهم ويرون أنهم على شيء بصيامهم وصلواتهم؛ وقد قال تعالى: ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ ... ﴾ الآيـة، وقـال تعالـى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾. ثم هذه الحركات الوجودية من خوارق العـادة، ولوازم الإفادة - وإن صحت - فإنما هي أعراض الأغراض من وصل بها ما قصدت له أفلح، وإلا فلا، وأكثـر فقراء هذا الوقت إما محجوب بدعواه أو مشهود بدنياه وأنت الجامع للكل والحمد لله، ومن طلب ملك أبيه بجاه أبيه فلا عبـرة به. إنما يطلبه بعمل مثل عمـل أبيه لأن طلبه له بغير ذلك كطلبه الشبع بأكل غيره.

إن الفتـــى مـــن قـــال هاأنـــذا لـيس الفتـى مـن قـال كـان أبـي

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

وصية مباركة[1]:

توجه إلى الله فقط، واعتمد على الله فقط، وارفض الأغراض بحسب الإمكان، ولو بالمقاسات، والجأ إلى الله في ذلك؛ فعن قريب ينفرج لك نور نفسك فترى الحق، ولا يصح لأحد أن يرى الحق قبل أن يرى نفسه، ولا نفسه حتى يعرف نسبتها، ولا معرفة له بأنه عرف ذلك حتى يكون عنده أذل من شرك الشيطان في عموم الأصول، ويتحقق له ذلك بأن يكون حريصا يصرف مالها من حيث يظن ليس له إلا شطحة أو نطحة والسلام عليكم، والعذر لا بأس به، وفي أوائل جمادى الثاني من سنة ثمان وثمانين (وثمانمائة). كملت هذه الورقة المباركة ومن عمل بما فيها آمين والسلام.

الرسالة الثانية:

الحمد لله وحده. من عبده الفقير إلى رحمته أحمد زروق أصلح الله حاله، وبلغ فيما لديه آماله.

إلى أخيه وسيده وحبيبه ومحبه ووليه في الله الشيخ الفقيه الصالح الناجح الواقف بباب الله الراجي نفحات رحمة الله أبي زيد عبد الرحمان بن موسى تولى الله سيادته، وأجرى له من الخير عادته. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛ أما بعد:

فقد بلغنا منكم كتاب مبارك فيه عدة كتب من أصحابنا، واتصل بنا في أواخر ربيع الثاني من سنة ثمان وثمانين (وثمانمائة)، وتاريخه أواخر المحرم من السنة المذكورة، وذكرتم فيه تطلعكم للبلاد والمسير إليها. ثم عارضكم ما أنتم عليه من الضعف ظاهرا وباطنا مع خطر الأمر وضيق العطن، واتساع دائرة العلم في الرخصة مع الجوادب الحالية والمالية، واختلاف الإخوان عليكم في الجواب. مع تخلف الحال الذي يعهد من أبناء الدين والدنيا؛ بل أشرتم لقول قائلهم:

---

(1) كتبت الوصية بآخر الرسالة. حيث كان الشيخ زروق يختم بعض أعماله بوصية أو وصايا.

فمـا النـاس بالنـاس الـذين عهـدتهم وما الـدار بالـدار التـي كنـت تعـرف

فـاعلم أسـعدك الله برضـوانه أن تـروع الـنفس للحركـة عنـد تخلـف معتادهـا أو استشعار ما تخافه، أو توقع فوت ما ترجوه أمر واقع لكل الناس من مقتضيات أحوالها أنها تأت الأمر من غير الوجه الذي يقع به الشعور فتجدها تجنح إلى العبادات عند ذوي الدين، وإلى الأسباب عند أهل الدنيا، وإلى المهمات عند ذوي الهمم. إذا نزل بهم شيء مما ذكرتم أو بقيت لها بقية في مقابلة ما وقع لها تحيرت وظهرت حيرتها على الوجه الذي استظهرت به من دين أو دنيا أو غير ذلك. لكن الحازم اللبيب يزنها بميزان الشرع؛ وقياس العقل فراسة البصيرة فيتهمها أو ليلا يغلبه الرضى عنها فيتسع عليه التأويل فلا يظفر بحقيقة مراده ثم ينظر في (نزهة) إليه شرعا فإن وجب أو ندب دون معارض سارع إليه، وإن كان معارضا فينظر في المعارض إن كان في القوة مثل الحكم توقف لمجال الاشتباه. ثم لجأ إلى الله في كشف الغمة التي به؛ فإن الله سبحانه يكشف عن قلبه ذلك ويشرح صدره لما هو الحق في حقه، وإلا فليلازم التوقف وينظر في ميزان العقل وقياسه؛ فإن ولج له منه قياس محدد في معاش أو معاد عمل عليه مضافا لما قبله، وإلا توقف كتوقفه في الذي قبله. ثم نظر في ذلك بمقتضى الداعية والهمة كذلك أيضا، ووجود الاستخارة بعد تحقق الاشتباه مشيرا لهذه الجملة. ثم أقول داعية الحج في هذه الأزمنة غالبها معلول، وحكم الفقه معروف مشهور، وجواب بالآراء فيه علة قدر العزم والجزم وهذا زمان الصبر (مرلك؟) بالتي كقبض على جمر فتنجوا من البلاء؛ فلازم الاستخارة، واطرح الاستشارة؛ لعدم القيام بها في هذا الأمر في هذا الوقت، ودن نفسك بالرضى على الله حتى يأتيك اليقين، وقد تكلم سيدي أبو عبد الله ابن عباد في رسائله الصغرى عن مسألة الحج هذه فانظر كلامه فيها فإنه مليح جدا، وما كتبت لك من نسخة أبعثها مع هذا المكتوب، وعلى الله بلوغ المراد - وتوصيل ذلك إليكم في عافية والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وعلى أهليكم ومن لاذ بكم في عالم الملك والملكوت والسلام.

ثم ما ذكرتم في استيطاننا هذه البلد فأمر خارج عن قياس النظر غير مصحوب بالجزم ولا معقود لشيء ظاهر نعلمه. بل اتفاقي ظهر وجوده فلزم موجوده إلى ما يقتضيه الحق سبحانه من ظهور معنى ذلك في حياة أو موت أو غيرها فلله الأمر من قبل ومن بعد.

وما أنا بالباغي سليمى بديلة بليلى ولكن للضرورة أحكام[1]

الرسالة الثالثة:

الحمد لله من عبد الله الفقير إلى رحمته أحمد زروق أمنه الله إلى الفقيه المبارك الخير أبي فلان بن فلان أعانه الله بتوفيق من عنده وعافية في دنياه ودينه. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛ أما بعد:

فقد بلغنا كتابكم وتعرفنا منه خالص ودادكم وجميل اعتقادكم، ولا جواب له غير قول ابن الفارض:

لك البشارة فاخلع ما عليك فقد ذكرتم على ما فيك من عوج

استراحة العبد الحسن الظن بالله وعباده أولى من استراحته بعلومه وأعماله؛ لأن العلة مع قرع باب الكرم أقرب للزوال معها مع اعتماده الحول والقوة.

طفت المشارق والمغارب في طلب ما أريد فلم أجد إلا ما يريده الحق إما بتسليط النفوس عن أغراضها أو تعويقها عن ملاذها؛ فألقيت السلاح وتركت الحركة والصياح، ودنت بدين السماح لفهمي سماح العلة، وإن ذلك عين دواء العلة. ثم إني نظرت من له تشوف إلى نفسه واعتماد على يومه وأمسه؛ فإذا هو كما قال القائل:

---

(1) جوابا عن سبب اختيار الشيخ زروق مصرارة مقرا له يرى بأن ذلك لحكمة أرادها الله، وأن إرادة الله ستتحقق في حياته أو مماته، وأرى بأن الوقت حان لتجديد وإحياء المدرسة الزروقية الإصلاحية الفقهية الصوفية السنية. علما وعملا. شريعة وحقيقة وطريقة. تحقيقا لقوله: "في حياة، أو موت، أو غيرها".

فلا هو مقتول ففي الموت راحته ولا هو ممنون عليه فيعتق

خاب من علق أصله بغير الله، وخسر من طلب الحوائج مما سواه، وندم من آثر حوله وحيلته إليها بهواه؛ فليس في الدنيا والآخرة غير الله.

ادع ولا تشتك، وأنب ولا تحزن، والله مع الصبر في هذا ما سمح به الخاطر في هذا الوقت، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، والله الله. سلم لنا على الشيخ أتم السلام.

وأكمله في أواخر جماد الثاني سنة 888. عرفنا الله خيره بمنه.

الرسالة الرابعة[1]:

الحمد لله وحده، ولا قوة إلا بالله العلي.

من عبد الله سبحانه الفقير لرحمته (المعروف بزروق)[2] أصلح الله حاله إلى السادات الفقراء والأحباب في الله سيدي عبد الله المغراوي كان الله له في الدنيا والآخرة، وحبه في الله الفقير عبد المالك بن أبي سعيد أسعده الله بمرضاته ونور قلبه وكفاه شر نفسه ثم سائر الإخوان ممن أراد الدخول في دائرة الأصحاب. سلام الله عليكم ورحمة الله وبركاته. أما بعد:

فقد بلغنا منكم كتاب يتضمن كمال الوداد، وحسن الظن وجميل الاعتقاد؛ وأخبرتم فيه بأشواقكم إلينا وانعطافكم بكل الهمة علينا؛ فنسأل الله أن يبلغ نياتكم وينفعنا بحسن مقصودكم؛ وإلا فنحن عصاة مذنبون نطلب عفو الله بكل حال ونتمسك بأذيال السادات من أهل الكمال؛ ويا أخي طلبتم منا إدخال فلان وفلان في الدائرة. ليس ذلك يا أولادي باختيار نفسي العاصية الجائرة، ولكن قل لهم يقول لكم:

---

(1) هذه الرسالة وجهها الشيخ زروق إلى تلميذه عبد الله المغراوي؛ وكان قد استخلفه على مدرسته بلجاية/ البور قبل أن يغادرها إلى المشرق سنة 884 هجرية.

(2) ما بين قوسين زيارة من الرسالة المخطوطة بالمكتبة الوطنية بالرباط.

عليكم باللجإ إلى الله تعالى في مقصدكم، ودعوا الحول والقوة وراء ظهوركم؛ فلا ملجأ من الله إلا إليه، ولا عاصم من أمر الله إلا من رحم وتعطف عليه؛ وأوصيكم بخمس خصال إن لازمتموها اتصلتم ووصلتم، وإن أهملتموها قطعتم وتركتم.

- أولها: لزوم الخمس صلوات في الجماعة، فإنها العصمة من كل آفة.
- والثانية: مجانبة أهل العناد من الظلمة وغيرهم من غير منازعة لهم فيما هم فيه إلا بشفقة، وإرشاد يصحبه رفق.
- والثالثة: إن كانت لكم حاجة لأحد من الخلق أو لهم عندكم حاجة فقدموا الدعاء في قضائها قبل التوجه إليها؛ لتكونوا بالله لا بأنفسكم.
- الرابعة: القيام بحقوق الخلق بالرحمة للصغير والحرمة للكبير والشفقة على العاصي والتواضع للمطيع والإحسان لمن أساء إليكم والدعاء له بالصلاح من غير حقد عليه ولا ذلة لأحد.
- الخامسة: الرفق بالنفس من غير تفريط ولا إفراط فلا تزيدوا في الضحى على ست ركعات فأقل، وقبل الظهر أربعا وبعدها ركعتين، وقبل العصر أربعا، وبعد المغرب ركعتين، ومن الليل عشر ركعات، والشفع والوتر كل ذلك بغير قراءة مخصوصة ولا صفة معلومة، فإن ذلك بدعة.

وما ذكرت لكم طريقتي والسنة التي كان ﷺ يعمل بها حتى لقي الله، والزيادة لا أحبها، والنقص لا أريده، وعليكم بصوم الإثنين والخميس لا أكثر؛ فإن لم تقدروا فثلاثة أيام من كل شهر، (ومن أكثر الصيام فسد مزاجه، ومن أهمله رأسا قسا قلبه)[1]؛ وبالجملة فخير الأمور الوسط، وهو ما ذكرت لكم، وعمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة، والفقير مثل النحلة ترعى من كل نوار ولا تبيت إلا في جحرها، فهو شيخه وإلا فلا ينفع بعسله.

وإني أنهاكم عن خمس خصال:

---

(1) ما بين قوسين زيادة من الرسالة.

- أولها: كثرة التخليط في العبادات وغيرها.
- والثاني: سوء الظن بعباد الله.
- والثالث: الاغترار بظواهر الخلق.
- الرابع: الانتصار للنفس.
- الخامس: تتبع الفضول، والدخول في ما لا يعني، كالتوجه للجهاد بغير إذن جماعة المسلمين وسلطانهم فإنه سلم الفتنة، وقل ما اشتغل به أحد فنجح، والدخول بينه وبين مخالفيه بوجه لا يرتضيه، وحسن الظن بالناس في غير الحذر منهم، فلا تأمر لأحد بأهلك (ومالك)[1] إلا من جربته ألف أنه يخاف الله ويتقيه، واعمل فيما في يدك كأنك خازن له تأكل منه بالمعروف وتطعم عباد الله من غير سرف ولا إقتار، ومن خلط في طريقه لم ينتفع بنفسه، ومن كثر عدد الأذكار والعبادات غير ما تواتر وصح في السنة بعد عليه الفتح لأنه كمن يريد أن يحفر بئرا يريد ماءها ويحفر هنا شبرا وهنا شبرا، ومن تعلقت همته بالمشايخ لم ينتفع منهم بطائل لأنه إسقاط لحرمتهم، وإياكم والوسوسة فإنها بدعة وضلال واسألوا الله منها العافية، وإياكم ثم إياكم ومخالطة الفقراء والطلبة من أهل الاشتغال بالكنوز والكمياء وغيرها؛ فإن ذلك كله مبعد عن الله تعالى جالب للفقر بعيد عن الحق، وعليكم بالألفة وإكرام الأصحاب وهم ثلاثة:

- صاحب لدنياك فلا تراع فيه إلا حسن خلقه.
- وصاحب لآخرتك فلا تراع فيه إلا حق الله تعالى، واقبله كيف كان.
- وصاحب لأنس فلا تراع فيه إلا السلامة من شره.

وإياكم وخلطة فقراء هذا الزمان؛ فإنهم جذام إلا من قل، وسلم لهم في هواهم وفيما هم فيه، وعظم الفقهاء لأنهم حملة الشريعة، ولا تخالطهم لأن نفوسهم غالبة عليهم، واكرم أهل الدنيا تنتفع بهم[2]، ولا ترفعهم على الفقراء فتسقط من عين الله

---

(1) في الرسالة أعلاه (ودينك).

(2) في مخطوط الرباط (بلا تشفع بهم).

وتزدرى عندهم، والجأ في أمرك كله لله تجد الإجابة طوع يدك، وقل في جوف الليل بصوت ممدود: يا غني من للفقير سواك. يا عزيز من للذليل سواك. يا قدير من للعاجز سواك. يا قوي من للضعيف سواك، وكرر ذلك مرارا تر العجب من أمرك ولازم في كل يوم أن تقول: يا عزيز يا جبار يا متكبر يا ودود يا نصير مائة وخمسا وعشرين مرة، وصل الله على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله بعد مثلها ترى العجب من نفوذ الكلمة وظهور الأمر، وذلة نفسك لك إلى غير ذلك، وهذا خاص بك يا عبد الله، وسأكتب لك الوظائف التي استعملتها فإن تيسر لكم فقوموا بها في زواياكم؛ فإنها مأخوذة كلها من أحاديث رسول الله ﷺ. انتهى.

الرسالة الخامسة:

الحمد لله من عبد الله الفقير إلى رحمته فلان بن فلان أصلح الله قلبه، وغفر ذنبه؛ إلى إخوانه في الله تعالى، وأحبابه فيه من أهل مدينة طرابلس حرسها الله تعالى. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛ أما بعد:

فقد وجب إعلامكم أنا بخير وعافية والحمد لله وكذلك ولدنا ومن تعلق بنا، وهو مسلم عليكم أتم السلام وأكمله، ويعلم الله ما في القلوب منا ومنكم؛ فلا نحتاج إلى أخبار ولا استخبار فيه. ثم أفضل ما تعامل به الخلان، وترافق الإخوان وجود النصح والإحسان بالدعاء تارة وبالاهتمام تارة، وبالتنبيه تارة مع رفع الهمة إلى الله تعالى في توصيل المراد وتحصيل المقاصد، وقد قال تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾؛ فذكر أربعة أصول. لا حقيقة ولا كمال ولا نجاة إلا بها، وجعل الأخيرين منها على التعاون بالتواصي لشدتها على النفوس، وبعدها عنها؛ لوجود حظها، وجعل الأولين بالإطلاق؛ لعلمه بحرص النفوس على القيام بها من حيث الإثبات والنهي. لا من حيث الكمال والتحقق؛ لأنه لا يكون إلا بوجود الأخيرين؛ كما أشار له عليه السلام بقوله: "والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد"؛ وقد عرفتم

قيام الخلق بالفصلين الأولين، وإعراض أكثرهم عن الأخيرين؛ وهما عقد الجملة ونفس الحقيقة في باب الدوام والتمام؛ فليكن أكثر هماتكم بهما، وعملكم عليها بترك ما انتهت به السورة بعدهما من اللمز والهمز؛ وهما الغيبة والنميمة، والجمع والمنع الذي وصف به من ذكر فيها وتوعد عليه؛ فأكثر آفات النفوس في باب الحق والصبر من هاتين الخصلتين الرذيلتين. ثم حفظ الحرمة المشار إليها في سورة الفيل بما وقع لأهله لما لم يراعوا حق الحرمة في سورتها الظاهرة بركتها؛ فهي منبهة على أن من لم يحفظ حرمة الله هتك الله حرمته فأهلكه. ثم شكر النعمة الذي نبه عليها في سورة قريش بقوله: ﴿ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ٤﴾ ... إلى آخره. ثم التصديق بما جاء عن الله تعالى في أمر الدين والعمل عليه برحمة اليتيم والمسكين، والقيام بوظائف العبادات من الصلوات والحضور فيها الذي تضمنه قوله: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ٥﴾، ووجود الإخلاص إنما في الرياء، والقيام بحقوق الخلق فيما يجري بينهم من ماعون وغيره؛ وهذه السورة هي المتضمنة لما اقتضاه قوله: ﴿ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ بأعيانه وشروطه؛ والسورة الثالثة راجعة لمعنى الحق والصبر؛ فطوبى لمن فهم عن مولاه فآثره، والويل كل الويل لمن أعرض عنه وشرد عن أمره.

وقد ذكرت لكم في هذه الجملة حقيقة ما أمرتم به، وأشرت لكم بجمل ما أنتم مطالبون به؛ وأصل كل أصل في ذلك التبري من غيرأهل الحق، وقد أشارت إليه ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ١﴾، والانحياش لأهل الحق وقد أشارت إليه سورة النصر بأولها بل بجملتها، ومدار ذلك على احتقار النفس وتعظيم الرب، وقد أشار إليه قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ﴾، وكل ذلك ينبعث من رؤية الأوصاف وملاحظتها فوصف النقص ينصرك، ووصف الكمال يؤنسك، والأول في سورة (تبت) والثاني في سورة (الإخلاص)، وهما عائدان على ما تقدم ومبدأ الكل ومنتهاه في التحصن بالله والتعوذ به من كل شيء؛ وله وجهان:

* أحدهما: عام وهو في سورة الفلق.

* والآخر: خاص في سورة الناس.

ثم ذكر جماعة من الإخوان والأصحاب، وذكر التاريخ بعد ذلك ثم قال: والذي يكون الدفع بيده في الكتب يكون عنده من غير منع من نسخه، والله يجمعنا بكم عاجلا في حمايته والسلام. انتهى.

الرسالة السادسة:

الحمد لله. من عبد الله الفقير إلى رحمته أحمد زروق. أصلح الله حاله، وبلغ فيما لديه آماله إلى أخيه ووليه في الله تعالى أبي فلان الفلاني تولاه الله بإحسانه في الدنيا والآخرة. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛ أما بعد:

فقد بلغنا كتابكم الأول والثاني وأنتم تؤكدون علي في القضية الفلانية – وذكر أمورا -. ثم قال[1]:

وقد أمرنا الله سبحانه بإعمال الأسباب بالحيل حتى إذا تعذرت بكل وجه وجب أن نرجع لأمور أخرى لا تدخلها الحيل والأسباب، ولكن صاحب الحاجة أعمى عن غيرها، والعجلة شأن الإنسان، ولكل شيء في علم أجل ينتهي إليه، وعدم العذر منكم لا يليق لأني لست بذي إهمال إن شاء الله في حق غيركم، ولكن الأمر كله لله؛ فإن رضيتم فلكم الرضى، وإلا فلكم الأخرى على ما أحببتم أو كرهتم، ولا أقدر أن أقول في هذه القضية أكثر من هذا والسلام.

وأما ما ذكر عن زيد بن عمر. نعم فقد سمعته ممن يريد الإيقاع بينكم لغرض له، وما أظنه فعل، وإن كان فعل فما أظنه يسعى، وإن سعى به لا يفلح فيه، وإن أفلح فلا ينجح بفضل الله ورحمته، وليس لما تبنى يد الله هادم، ولكن الناس لكم ثلاثة:

- عدو يريد لكم الفرقة والضرر.

(1) هذه الجملة الاعتراضية تؤكد أن الحذف الموجود في الرسائل هو من فعل الناسخ لهذه الرسائل لاعتقاده أن المحذوف لا أهمية له – سامحه الله -.

- وصديق يطلب طيب حياته بمرارة عيشكم، كالرعية والشيوخ وذويهم.
- وصاحب يد يريد الوصول بالإيقاع بينكم إلى أخذ أموالكم؛ وهذا لا دواء له عندنا إلا بثلاثة:

- التعامي عن الدعاوي والبواعث.
- وإظهار الإحسان من غير مذلة، ولا تفريط.
- والحزم في الأمر عند الجد بأول الحزم؛ ويد الله معكم في هذا الأمر، ولكن الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا، والسلام.

الرسالة السابعة:

الحمد لله. من عبد الله الفقير إلى رحمته أحمد زروق أصلح الله حاله. إلى وليه في الله وأخيه أبي الخير عبد النبي. تولاه الله بإحسانه في الدنيا والآخرة. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛ أما بعد:

فقد بلغنا كتابكم، وتعرفنا ما فيه؛ فجزاكم الله عنا وعن أنفسكم خيرا؛ واعلم يا أخي أن الدنيا دار الله والخلق فيها مسلطون أو مسخرون حسب ما اقتضاه التصريف الإلهي والحكم الرباني؛ فكن بالله واثقا، ولغيره بكنه الله مفارقا، ودع الخلق وما دفعوا إليه؛ فمراد الحق منهم ما هم عليه، واعمل على رضا من لا بد من لقائه، فهو الذي لا منجا منه إلا إليه، ولا معول في الحقيقة إلا عليه، فلن تزل بخير ما دمت واقفا ببابه مستندا بجنابه، ولا يتحقق ذلك إلا بموت النفس، ولا موت لها إلا بترك ثلاثة:

* خوف الخلق * وهم الرزق * والرضى عن النفس.

فوالله ما أفلح من أفلح إلا بترك هذه الثلاثة، ولا هلك من هلك إلا بها؛ وقد أقام الله - والحمد لله - في قلوب الخلائق هيبتك، وألزمهم وجود حرمتك؛ فاشكر الله على ذلك، والجأ إليه في كمال ما هنالك، واستعن على أمرك بالله، واعلم أن السمين من قوي قلبه بمولاه، والهزيل من خلت أوقاته من العزة بالله.

فلا هو مقتول ففي الموت راحته ولا هو ممنون عليه فيعتق

والسلام التام عليكم وعلى أهليكم ومن تعلق بكم. انتهى.

الرسالة الثامنة:

الحمد لله.

من عبد الله الفقير إلى رحمته أحمد زروق أصلح الله حاله، وبلغ فيما لديه آماله.

إلى أخينا في الله تعالى، وولينا من أجله، الفقير أبو عبد الله محمد بن الأسود. سدده الله.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛ أما بعد:

فقد بلغنا كتابكم، وذكرتم ما أنتم عليه بحسن الوداد، وجميل الاعتقاد، واستشرتم في التقدم لما طلبتم من التزكية والكشف عن الشهود، وهذا أمر عظيم لا يتصدى له إلا من يلقي نفسه في النار، ولا يوافق عليه إلا من يحب لكم العار والشنار. ثم إنكم حصلتم فيه، وقل أن يسلم لكم دينكم، أو ستربحوا في دنياكم؛ فنعم المرضعات، وبئست الفاطمة. كيف يقف في ذلك الموقف عاقل؛ والبلاد بلاد فتنة، والناس اليوم شوك لا ورق فيه. لا سيما مع من صار لهم كالكلب النابح يذم هذا ويمدح هذا ويثني على هذا ويترك هذا مع ما يحين إليه الأمر من مداهنة فلان، ومراءات فلان، ومسالمة فلان، ومحاربة فلان. ما ذكرت من الضرورة هي سوسة غرهم الرزق. إذ لو وثقت بالله كانت بصيرتك سابقة لما تريده من أمره. بل كنت تفر مما يدعوك إليه مثل هذا، وإن مت جوعا في بيتك؛ لأن هذا زمان السكوت ولزوم البيوت، والرضى باليسير من القوت. كفاية الله للمؤمن خير له من تعلقه بما فيه ضرره وهلاكه، ويرحم الله من قال:

وقائلة ما لي أراك مجانبا أمورا وفيها للتجارة مربح

فقلت لها ما لي بربحك حاجة فنحن أناس بالسلامة نربح

وفي الحديث أنه عليه السلام قال: "وعلى العاقل أن يكون عارفا لزمانه. ممسكا للسانه. مقبلا على شأنه"، وقال ﷺ: "إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا وإعجاب

كل ذي رأي برأيه فعليك بخويصة نفسك". قال ذلك لمن سأله عن قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾.

قد بلغني عنكم أنكم دخلتم أمورا مكروهة عند العقلاء. مجربة عند الجهال؛ فإن كان قد أوقعك فيها الاغترار؛ فينجيك منها التوبة والاستغفار، ﴿وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ١٨ إِنَّهُمۡ لَن يُغۡنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٩﴾.

العبادة في هذا الزمان كلها في الكف عن الشر لأنه قد غلب، ﴿وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ٤٠﴾.

إن كنت يا أخي قد دخلت في الأمر المذكور، وابتليت به فعليك بثلاثة:

- السياسة في الرد والقبول.
- وتقوى الله في الإقبال والإدبار.
- والتودد إلى الناس فإنه رأس الفشل بعد الإيمان بالله، فاتقي الله يا أخي في نفسك، واهرب من الشر بغاية جهدك إن كنت حرا عاقلا والسلام.

ولقد أسمعت لو ناديت حيا ... ولكن لا حياة لمن تنادي

وأنا إن شاء الله عازم على القدوم عليكم في أواخر فصل الربيع، ولو قدرت في هذه الأيام ما تأخرت عنكم، والأمر كله بيد الله، واقبل عذري؛ فوالله ما حملني على ما قلت لكم في هذا الكتاب إلا الشفقة عليكم.

ثم قال بعد كلام: وقد بلغني كتاب من فلان، وهو يحضني بالإقبال على سيدي فلان حتى ظهر لي منه أنه يراني معاديا، وبالله ما في قلبي له شحناء، ولا حسدا، ولا ضغينة؛ ولكن القلوب بيد الله يقبل بها ويدبر كيف شاء، والصواب في حقنا جميعا أن نترك المنافسة والمناقشة في كل شيء، وتسامح الإخوان في الواقع وغير الواقع، وبالله التوفيق، والسلام عليكم والرحمة والبركة. يا سلام سلم. يا لطيف الطف. يا

رب العافية اعرف وتعرف وتبصر وتوقف، وإنا ما ندري ولا نعرف. جاهل خير من عالم سوء والسلام.

الرسالة التاسعة:

الحمد لله:

من عبد الله الفقير إلى رحمته أحمد زروق أصلح الله حاله.

إلى الأخ في الله تعالى، والولي فيه الفقيه أبو عبد الله محمد بن الأسود سدده الله تعالى، ووفقه لصالح القول والعمل.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛ أما بعد:

فلا ملجأ من الله، وما تشاؤون إلا أن يشاء الله؛ وخير الناس من لا تزيده الأيام إلا خيرا، وإنما هو جوع قليل وعري قليل، وقد انقضت عنك أيام الدنيا كما قال أبو سليمان الداراني ﷺ: "إن الاستغناء عن الدنيا يصرفها عن القلب حتى في محل الضرورة خير من الالتفات إلى الغنا بها لأنه متعب لا غاية له، وخير العباد من نظر إلى خزائن الله فيما يرجوه، وإلى تعريفه بما يخشاه؛ فقنع بما فتح له، ورضي بما قسم له، وسلم له فيما جراه وحكمه؛ فإن فعل؛ فقد أراح نفسه وتعرض لرضا ربه، وإن أبى إلا المنازعة والعناد والاهتمام بنفسه؛ فقد استعجل البلاء بهما، والله الله في نفسك بثلاثة:

- إيثار العافية.
- والرضا باليسير.
- وترك الخلق وما دفعوا إليه؛ فمراد الحق منهم ما هم عليه.

وصية مباركة:

عليك بتقوى الله مع كل شيء، والرضى على الله في كل شيء، واللجأ إليه في كل ما تحتاج إليه، أو ترجوه منه؛ فما علق أحد أمله بالله فخاب، والسلام.